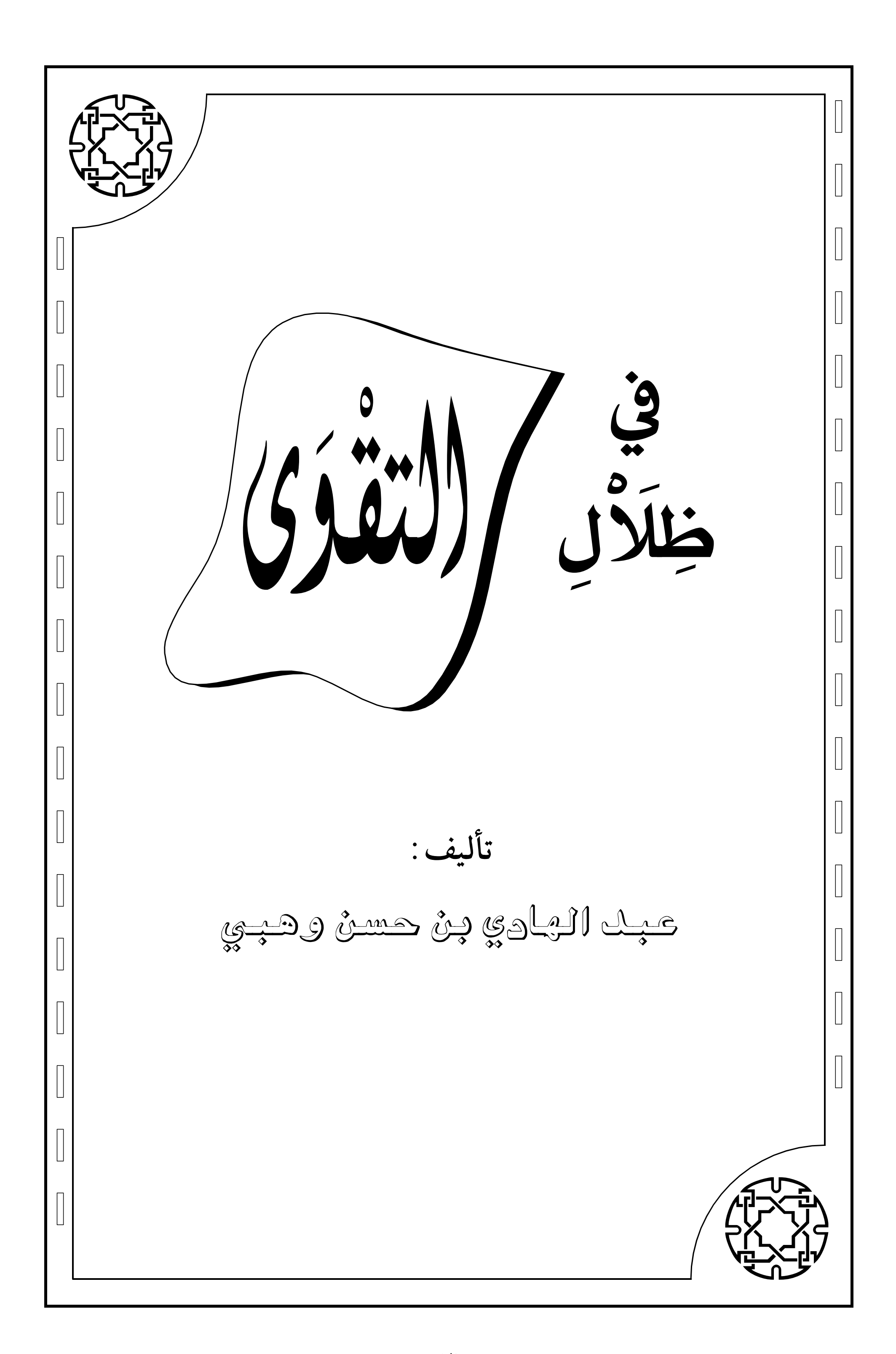
في

ظِلَاْلِ التقْوَى



تأليف:

عبد الهادي بن حسن وهبي



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقدِّمَةُ

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله منْ شرورِ أنفسِنَا وسيئاتِ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلا مضِلَّ لهُ، ومنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ، وأشْهدُ أنْ لا إله إلَّا الله، وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أمَّا بعدُ.. فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بعدُ: «فقد جعلَ الله سبحانهُ لكلِّ مطلوبٍ مِفتاحاً يُفتحُ بهِ،

فجعلَ مفتاحَ الصَّلاةِ: الطُّهورَ، كما قالَ ﷺ: «**مفتاحُ الصلاةِ: الطُّهورُ**»[1]، ومفتاحُ الحجِّ: الإحرامُ، ومفتاحُ البِرِّ: الصِّدقُ، ومفتاحُ الجنَّةِ: التَّوحيدُ، ومفتاحُ العلمِ: حسنُ السؤالِ وحسنُ الإصغاءِ، ومفتاحُ النَّصرِ والظَّفرِ: الصبرُ، ومفتاحُ المزيدِ: الشكرُ، ومفتاحُ الولايةِ والمحبَّةِ: الذِّكرُ، ومفتاحُ التَّوفيقِ: الرغبةُ والرهبةُ، ومفتاحُ الإجابةِ: الدعاءُ، ومفتاحُ الرغبةِ في الآخرةِ: الزهدُ في الدنيا، ومفتاحُ الإيمانِ: التفكُّرُ فيما دعا اللهُ عبادَه إلى التفكُّرِ فيه، ومفتاحُ الدُّخولِ على اللهِ: إسلامُ القلبِ وسلامتُه لهُ والإخلاصُ له في الحبِّ والبغضِ والفعلِ والتركِ، ومفتاحُ حياةِ القلبِ: تدبُّرُ القرآنِ والتضرُّعُ بالأسحارِ وتركُ الذنوبِ، ومفتاحُ حصولِ الرحمةِ: الإحسانُ في عبادةِ الخالقِ، والسَّعيُ في نفعِ عبيدِهِ، ومفتاحُ الرزقِ: السعيُ مَعَ الاستغفارِ، ومفتاحُ العِزِّ: طاعةُ اللهِ ورسولِهِ، ومفتاحُ الاستعدادِ للآخرةِ: قِصَرُ الأملِ، ومفتاحُ تيسيرِ الأمورِ: التقوى»[2].

فالمُتَّقي مُيَسَّرَةٌ عليه أمورُ دنياهُ وآخرتِه. وتاركُ التقوى وإن يُسِّرت عليه بعضُ أمورِ دنياه، تعسَّرَ عليه من أمورِ آخرتِه بحَسبِ ما

---

(١) رواه أبو داود (٦١ و٦١٨)، والترمذي (٣)، وابن ماجه (٢٧٥)، وأحمد (١/ ١٢٣ و١٢٩) (١٠٠٦ و١٠٧٢) من حديث علي رضي الله عنه، وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٥٥ و٥٧٧): «حسن صحيح».
ورواه الترمذي (٢٣٨)، وابن ماجه (٢٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٨). ورواه الترمذي (٤)، وأحمد (٣/ ٣٤٠) (١٤٧٠٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٤).

(٢) حادي الأرواح (ص١٠١).

تركه من التقوى. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

فأخبرَ أنَّه يُيَسِّرُ على المُتَّقي ما لا يُيَسِّرُ على غيره.

فقد جعلَ سبحانه التَّقوى سبباً لكلِّ يُسْرٍ، وتركَ التَّقوى سبباً لكلِّ عُسْرٍ[1].

«فلشدَّةِ الحاجةِ إلى التَّقوى ولعِظَمِ شأنها، ولكونِ كلِّ واحدٍ منَّا، بلْ كلُّ واحدٍ من المسلمين في أشدِّ الحاجةِ إلى التقوى والاستقامةِ عليها»[2]، جمعتُ هذا البحث تذكيراً بالتَّقوى، وحثًّا على طلبهَا والقيامِ بحقِّها. واللهَ أسألُ أن يجعلَهُ في ميزانِ حسناتي: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [المطففين: ٦]، إنَّه سميعٌ مجيبٌ.

الراجي عفو ربِّه
عبد الهادي بن حسن وهبي[3]

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٣٨ ـ ٣٩).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن باز (٢/ ٢٨٣).

(٣) لبنان ـ بيروت ـ ص.ب: ١٣/٦٠٩٣ شوران ـ هاتف: ٠٣/٦٢٦٧٨٧ ـ فاكس: ٠١/٧٩١٠٥١.



مَعْنَى التَّقْوَى

ذكرَ أهلُ العلمِ تعريفاتٍ كثيرةً للتقوى، وكلٌّ منها يبيِّن المرادَ مِنَ التَّقوى.

١ ـ قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «أصلُ التقوى: أنْ يجعلَ العبدُ بينَه وبينَ ما يخافُهُ ويحذرُهُ وقايةً تقيهِ منهُ، فتقوى العبدِ لربِّهِ أنْ يجعلَ بينهُ وبينَ ما يخشاهُ منْ ربِّه ـ منْ غضبِه وسخطِه وعقابِه ـ وقايةً تقيهِ منْ ذلك، وهوَ فعلُ طاعتِه واجتنابُ معاصِيهِ.

وتارةً تُضافُ التقوى إلى اسمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، فإذا أُضيفَتِ التقوى إلى الله تعالى، فالمعنى: اتقوا سخطَهُ وغضبَهُ، وهو أعظمُ ما يُتَّقى، وعنْ ذلك يَنشأُ عقابُهُ الدنيويُّ والأخرويُّ، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، فهوَ سبحانهُ أَهْلٌ أن يُخشى ويُهابَ ويُجَلَّ ويُعظَّمَ في صدورِ عبادهِ حتَّى يعبدوه ويُطيعوه، لِمَا يستحقُّهُ مِنَ الإجلالِ والإكرامِ، وصفاتِ الكبرياءِ والعظمة وقوَّةِ البطش، وشِدَّةِ البأسِ.

وتارةً تضافُ التَّقوى إلى عقابِ اللهِ وإلى مكانِه، كالنَّارِ؛ أو إلى زمانِه، كيومِ القيامةِ، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ

لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ١٢٣].

ويدخلُ في التَّقوى الكاملةِ فعلُ الواجباتِ، وتركُ المحرماتِ والشُّبُهاتِ، وربَّما دَخلَ فيها بعدَ ذلكَ فعلُ المندوباتِ، وتركُ المكروهات.

وقد يغلِبُ استعمالُ التَّقوى على اجتناب المحرَّمات.

خلِّ الذنوبَ صغيرَها	وكبيرَها ذاكَ التُّقى
واصنَعْ كماشٍ فوقَ أر	ضِ الشوكِ يحذرُ ما يرى
لا تَحْقِرنَّ صغيرةً	إنَّ الجبالَ مِنَ الحصى

وأصلُ التقوى: أنْ يعلمَ العبدُ ما يُتَّقى ثمَّ يتَّقي[1].

٢ ـ قال طَلْقُ بنُ حبيبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «التقوى: عملٌ بطاعةِ اللهِ، رجاءَ رحمةِ اللهِ، على نورٍ من اللهِ؛ والتقوى: تركُ معصيةِ اللهِ، مخافةَ اللهِ، على نورٍ من اللهِ»[2].

قال الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ معقِّباً: «أبدعَ وأوجزَ، فلا تقوى إلَّا بعملٍ، ولا عملَ إلا بِتَرَوٍّ مِنَ العلمِ والاتِّباعِ. ولا ينفعُ ذلكَ إلَّا بالإخلاصِ للهِ، لا لِيُقَالَ: فلانٌ تاركٌ للمعاصي بنورِ الفقهِ، إذِ المعاصي يُفتقرُ اجتنابُها إلى معرفتِها، ويكونُ التركُ خوفاً مِنَ اللهِ، لا

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٩٨ ـ ٤٠٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٩٩) بسند صحيح.

لِيُمدحَ بتركِها، فمَنْ داومَ على هذهِ الوصيَّةِ فقد فازَ»[١].

٣ ـ قال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «التقوى: معناهُ مراعاةُ حدودِ الله تعالى أمراً ونهياً، والاتِّصافُ بما أَمَرك أن تتصفَ بهِ، والتنزُّهُ عمَّا نَهاكَ عنهُ»[٢].

٤ ـ قال ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللهُ: «التقوى: هي العزمُ على إتيانِ المأموراتِ، والانزجارُ عن جميعِ المزجوراتِ: فمن صحَّ عزمُهُ على هاتَيْن الخصلتَين، فهو التقيُّ الذي يستحقُّ اسمَ الكرمِ»[٣].

٥ ـ قال العِزُّ بنُ عبدِ السَّلام رَحِمَهُ اللهُ: «التقوى: فعلُ الواجباتِ، وتركُ المحرَّماتِ، وهي وصيَّةُ اللهِ في الأوَّلِينَ والآخِرينَ»[٤].

٦ ـ قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «التقوى: هي فعلُ ما أمرَ اللهُ به، وتركُ ما نهى اللهُ عنه»[٥].

٧ ـ قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «كما أنَّ البدنَ لا يكونُ صحيحاً إلَّا بغذاءٍ يحفظُ قوَّتَه، واستفراغ يستفرغُ الموادَ الفاسدةَ والأخلاطَ الرديَةَ التي متى غَلَبَتْ عليهِ أَفْسَدَتْهُ، وحميةٍ يمتنعُ بها مِمَّا يُؤذيه ويَخشى ضررَهُ، فكذلكَ القلبُ لا تتمُّ حياتُه إلَّا بغذاءٍ من الإيمان والأعمالِ الصالحةِ تحفظ قوَّتَه، واستفراغٍ بالتوبة النَّصوح تَسْتَفْرِغُ به الموادَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٤٥).
(٣) روضة العقلاء (ص١٧٦).
(٤) شجرة المعارف (ص٤٣).
(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٦١٤).

الفاسدةَ والأخلاقَ الرديةَ منهُ، وحميةٍ توجبُ لهُ حفظَ الصِّحةِ وَتَجنُّبَ ما يُضَادُّها، وهي عبارةٌ عنْ تركِ استعمالِ ما يُضادُّ الصِّحةَ؛ والتَّقوى: اسمٌ متناولٌ لهذه الأمورِ الثلاثةِ، فما فاتَ منها فاتَ مِنَ التَّقوى بقَدْرِهِ»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «التقوى ثلاثُ مراتبَ:

إحداها: حِمْيَةُ القلبِ والجوارحِ عَنِ الآثامِ والمحرَّماتِ.

الثانيةُ: حِمْيَتُها عَنِ المكروهات.

الثالثةُ: الحِمْيَةُ عَنِ الفضولِ وما لا يعني.

فالأُولى تُعطي للعبدِ حياتَه، والثانيةُ تُفيدُه صحتَه وقُوَّتَه، والثالثةُ تُكْسِبُ سرورَهُ وفرحَه وبَهجتَه»[2].

٨ ـ قال ابنُ الجوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّقوى: اعتمادُ المُتَّقِي ما يحصِّلُ به الحيلولةَ بينه وبينَ ما يكرهُهُ. فالمُتَّقي هو المُحْتَرِزُ ممَّا اتقاه»[3].

٩ ـ قال ابنُ عبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّقوى اسمٌ جامعٌ لطاعةِ الله، والعملِ بها في ما أَمَرَ بهِ، أو نَهَى عنهُ، فإذا انتهى المؤمنُ عن ما نهاهُ اللهُ، وعملَ بما أمرَهُ اللهُ، فقد أطاعَ اللهَ واتقاه. والتُّقى اسم أيضاً لخشيةِ اللهِ و﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. فمنْ خشي الله واتَّقاهُ، وانتهى عن ما نهاهُ، وقامَ بما افترضَ عليهِ،

---

(١) الجواب الكافي (ص١٢٨).

(٢) فوائد الفوائد (ص٤٥٩).

(٣) نزهة الأعين النواظر (١/ ١٢٠).

فهو العالِمُ بشهادةِ اللهِ لهُ بذلكَ، وحَسْبُكَ»[1].

١٠ ـ قال أبو عبدِ الله محمدُ بنُ خليفَةَ الأبِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «التَّقوى مصدرُ (اتَّقى): تقاةً، وتقوى. والمتَّقي: هوَ الذي يجعلُ بينهُ وبينَ ما يخافُه من المكروهِ وقايةً تقيهِ منهُ، ومنهُ قولهُ ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، ولَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[2]، أي: اجعلوا هذهِ الأمورَ وقايةً بينكم وبينَ النَّارِ. وعلى هذا: فالمتَّقي شرعاً هوَ الذي يخافُ اللهَ تعالى، ويجعلُ بينه وبينَ عذابِه وقايةً منْ طاعتِه، وحاجزاً عنْ مخالفتِه.

فإذاً: أصلُ التَّقوى: الخوفُ، والخوفُ إنَّما ينشأُ عنِ المعرفةِ بجلالِ الله وعظمته، وعظيمِ سلطانهِ، وعقابهِ، والخوفُ والمعرفةُ محلُّهما القلبُ، والقلبُ محلُّهُ الصدرُ، فلذلكَ أشارَ ﷺ إلى صدرهِ، وقال: «التَّقْوَى هَهُنَا»[3]، والله تعالى أعلم.

والتَّقوى خصلةٌ عظيمةٌ، وحالةٌ شريفةٌ آخذةٌ بمجامعِ علومِ الشَّريعةِ وأعمالِها، مُوصِلَةٌ إلى خيرِ الدنيا والآخرةِ»[4].

١١ ـ قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: التقوى اسمٌ مأخوذٌ مِنَ الوقايةِ وهو أنْ يتخذ الإنسانُ ما يقيه منْ عذابِ الله. والذي يقيكَ منْ عذابِ الله فعلُ أوامرِ الله واجتنابُ نواهيه. فإنَّ هذا هو الذي يقي منْ عذابِ الله عزَّ وجلَّ[5].

---

(١) الاستذكار (٢٧/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٢) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رواه البخاري (١٤١٣ و١٤١٧ و٣٥٩٥ و٦٠٢٣ و٦٥٣٩ و٦٥٤٠ و٦٥٦٣ و٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) المفهم (٦/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧).

(٥) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٧٤).

التَّقْوَى في ظِلَالِ القُرآنِ الكَرِيمِ

١ ـ الأمر بالتقوى:

قال اللهُ جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

هذه الآيةُ العظيمةُ فيها حثَّ اللهُ عبادَه المؤمنين، أنْ يقوموا بشكرِ نعمِهِ العظيمةِ، بأنْ يتَّقوه حقَّ تُقاتِهِ، وأنْ يقوموا بطاعتِه، وتركِ معصيته، مخلصينَ لهُ بذلكَ، وأن يَسْتَدِيمُوا ذلكَ إلى المَمَاتِ[1].

والموتُ غيبٌ لا يَدري إنسانٌ متى يُدرِكُه. فمَنْ أرادَ ألَّا يموتَ إلَّا مسلماً، فسبيلُهُ أنْ يكونَ منذُ اللَّحظةِ مسلماً، وأنْ يكونَ في كلِّ لحظةٍ مسلماً.

فإنَّ الكريمَ قد أَجْرَى عادتَهُ بكرَمِهِ أنَّهُ مَنْ عاشَ على شيءٍ ماتَ عليهِ، ومَنْ ماتَ على شيءٍ بُعِثَ عليه، فعياذاً بالله منْ خلافِ ذلكَ[2].

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في قولهِ تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٦٠) بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٥).

[آل عمران: ١٠٢]: «أن يُطاعَ فلا يُعصى، وأنْ يُذكرَ فلا يُنسى، وأن يُشكَرَ فلا يُكفر»[١].

قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وشكرُهُ يدخلُ فيهِ جميعُ فعلِ الطَّاعاتِ، ومعنى ذكره فلا يُنسى: ذكرُ العبد بقلبه لأوامرِ اللهِ في حركاتِه وسكناتِه وكلماتِه فيمتثلُها، ولنواهيهِ في ذلكَ كلِّهِ فيجتنبُها»[٢].

٢ ـ الأمر بالتقوى والمحاسبة:

قال اللهُ جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨].

أي: حاسِبُوا أنفسَكُم قبل أن تُحاسبوا، وانظروا ماذا ادَّخَرتُم لأنفسِكُم من الأعمالِ الصالحةِ ليومِ معادِكُم وعرضِكُم على ربِّكم[٣].

فإنَّ العبادَ: «إذا جعلوا الآخرةَ نُصْبَ أعينِهِمْ، وقِبْلَةَ قلوبِهِمْ، واهْتَمُّوا للمقام بها، اجتهدوا في كثرةِ الأعمالِ المُوصِلَةِ إليها، وتصفيتِها مِنَ القواطِعِ والعوائِقِ التي تُوقِفُهم عن السَّير، أو تَعُوقُهم، أو تَصْرِفُهم»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٧٢٢) (٣٩٠٨) [طبعة المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت]، وعبد الرزاق في «تفسير القرآن» (١/ ١/ ١٢٩) [طبعة مكتبة الرشد ـ الرياض] بسند صحيح. وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٤) (٣١٥٩) دون قوله: «وأن يشكر فلا يكفر» وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٣٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٢١٣).

وذكرَ الغدَ تنبيهاً على أنَّ الساعةَ قريبةٌ، كما قالَ الشَّاعِرُ:

وإنَّ غــداً لـلـنَّـاظـريـنَ قـريـبُ[1]

وذكرَ التقوى اعتناءً بها، وتنبيهاً على شرفِهَا وفضلِهَا[2].

وإذا علمَ العبادُ «أنَّ اللهَ خبيرٌ بما يعملون، لا تَخفى عليه أعمالُهم، ولا تضيعُ لديهِ، ولا يُهْمِلُها، أوجبَ لهم الجِدَّ والاجتهادَ.

وهذهِ الآيةُ الكريمةُ، أصلٌ في محاسبةِ العبدِ نفسَهُ، وأنَّهُ ينبغي لهُ أنْ يَتَفَقَّدَها. فإنْ رأى زَلَلاً تدارَكَهُ بالإقلاعِ عنهُ، والتَّوبةِ النَّصوحِ، والإعراضِ عَنِ الأسبابِ المُوصلةِ إليهِ. وإنْ رأى نفسَهُ مُقَصِّراً، في أمرٍ منْ أوامرِ اللهِ، بذلَ جهدَهُ، واستعانَ بربِّهِ في تتميمهِ، وتكميلِهِ، وإتقانِهِ. ويقايسُ بينَ مِنَنِ اللهِ عليهِ وإحسانِهِ، وبينَ تقصيرِهِ، فإنَّ ذلكَ يُوجِبُ لهُ الحياءَ لا محالَةَ»[3].

٣ ـ الأمر بالتقوى والصدق:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

إذا سمعتَ اللهَ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فَأَرْعِها سَمْعَكَ، فإنَّما هو خيرٌ يأمرُ بهِ، أو شرٌّ يَنْهَى عنه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٣٨).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ١٢٣).

وهذا النِّداءُ مُوَجَّهٌ لجماعةِ المؤمنينِ، فقد أمرَهُم الله ﷻ أن يكونوا «مَعَ الصَّادِقِينَ في أقوالِهم، وأفعالِهم، وأحوالِهم، الذين أقوالُهم صدقٌ، وأعمالُهم، وأحوالُهُم، لا تكونُ إلَّا صِدْقاً خاليةً من الكسلِ والفتورِ، سالمةً من المقاصدِ السيئةِ، مشتملةً على الإخلاص والنِّيةِ الصَّالِحَةِ، فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ»[1].

قال القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «حقَّ منْ فهمَ عن الله وعقلَ عنهُ أنْ يلازمَ الصِّدقَ في الأفعالِ، والإخلاصَ في الأعمالِ، والصفاءَ في الأحوالِ، فمَنْ كانَ كذلكَ لَحِقَ بالأبرارِ، ووصَلَ إلى رِضَا الغَفَّارِ»[2].

٤ ـ إخبار الله تعالى عن نفسه أنه أهل التقوى:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

أي: هو أهلٌ أن يُتَّقى ويُعبدَ، لأنَّهُ الإلهُ، الذي لا تنبغي العبادةُ إلَّا لَهُ، وأَهْلٌ أَن يَغْفِرَ لمن اتقاه، واتَّبعَ رضاه[3].

٥ ـ التقوى هي التزكية:

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٩٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٨٩).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٣٣٨).

أي: لا تمدحوها ولا تُبَرِّئُوها عَنِ الآثام، ولا تُثنوا عليها، فإنَّ تركَ تزكيةِ النَّفسِ أبعدُ مِنَ الرِّياءِ وأقربُ إلى الخشوعِ[1].

فإنَّ التقوى، محلُّها القلبُ، واللهُ هو المُطَلِّعُ عليه، المُجازِي على ما فيه، مِنْ بِرٍّ وتقوى. وأمَّا النَّاسُ، فلا يُغْنُونَ عنكمْ مِنَ اللهِ شيئاً[2].

قال الله جلَّ وعلا: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾**﴾ [النساء: ٤٩].

فالزَّاكي المُزَكَّى مَنْ حَسُنَت أفعالُه وزَكَّاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، فلا عبرةَ بتزكيةِ الإنسانِ نفسَهُ، إنَّما العبرةُ بتزكيةِ اللهِ له[3].

قال محمدُ بْنُ عَمْرو بْنِ عَطاءٍ: سَمَّيْتُ ابنتي بَرَّةَ، فقالت لي زينبُ بنتُ أبي سَلَمَةَ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهى عن هذا الاسم وسُمِّيتُ بَرَّةَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تُزَكُّوا أنفسَكُمْ، اللهُ أعلمُ بأهلِ البِرِّ منكم**»، فقالوا: بِمَ نُسَمِّيها؟ قال: «**سَمُّوهَا زَيْنَبَ**»[4].

وعنْ أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قالَ: مَدَحَ رجلٌ رجلاً، عند النبيِّ ﷺ فقال: «**وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ. قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ (مراراً)، إذا كانَ أَحَدُكُمْ مادحاً صاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَاناً واللهُ حَسِيبُهُ، ولا أُزَكِّي على اللهِ أَحَداً، أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ**

(١) فتح القدير (٥/ ١٦١).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ١٢٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥٩).
(٤) أخرجه مسلم (٢١٤٢).

ذَاكَ، كَذَا وَكَذَا»[1].

وعن معاويةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إِيَّاكُم والتَّمَادُحَ، فَإِنَّهُ الذَّبْحُ**»[2].

وممَّا ينبغي أنْ يُعْلمَ بأنَّ الرَّجُلَ من أصحابِ النبيِّ ﷺ كان إذا زُكِّيَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، واغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ»[3].

٦ ـ التقوى خير زاد:

قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [البقرة: ١٧٩].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [البقرة: ١٩٧][4].

أَمَرَ اللهُ سبحانه وتعالى الحُجَّاجَ بأن يَتزوَّدُوا لسفرِهِم، ولا يُسافِرُوا بغيرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٢ و٦٠٦١ و٦١٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠) والسِّياق له.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٧٤٣)، وحسّنه العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٠١٧).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦١)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه عليه: «صحيح الإسناد». وقال: زاد البيهقي في «الشعب» (٤/٢٢٨) من طريق آخر: «واجْعَلْنِي خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ».

(٤) أخرجه البخاري (١٥٢٣).

زادٍ، ثُمَّ نَبَّهَهُمْ على الزادِ الحقيقيِّ المستمرِّ نفعُهُ لصاحبِهِ، في دُنياه، وأُخراه، فهو زادُ التقوى الذي هو زادٌ إلى دارِ القرارِ، وهو المُوصِلُ لأكملِ لَذَّةٍ، وأَجَلِّ نَعيمٍ دائماً أبداً. ومن ترك هذا الزَّادَ، فهو المنقطعُ به الذي هو عُرْضَةٌ لكلِّ شَرٍّ، وممنوعٌ من الوصولِ إلى دار المتقين. فهذا مدحٌ للتقوى[1].

والتَّقوى زادُ القلوبِ والأرواحِ، منه تَقْتَاتُ وبه تَتَقَوَّى وتَرِفُّ وتُشْرِقُ. وَعليه تَسْتَنِدُ في الوصولِ والنَّجاةِ. وأُولُو الألبابِ هم أولُ مَنْ يُدرِكُ التَّوجيهَ إلى التَّقوى، وخيرُ مَنَ يَنْتَفِعُ بهذا الزَّادِ.

قال الشَّاعِرُ:

الموتُ بحرٌ طافحٌ موجهُ ... تذهبُ فيه حيلةُ السَّابحِ
يا نفسُ إني قائلٌ فاسمعِيْ ... مَقَالَةً مِنْ مُشْفِقٍ نَاصِحِ
لَا يَصْحَبُ الإنسانَ في قَبْرِهِ ... غيرُ التُّقَى وَالعملِ الصالحِ[2]

وقال الحُطَيْئَةُ:

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ... ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى اللهِ خيرُ الزادِ ذُخراً ... وعندَ اللهِ للأَتْقَى مزيدُ[3]

وقالَ الأَعْشَى:

إذا أَنْتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ مِنَ التُّقَى ... ولاقَيْتَ بعدَ الموتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ على أَلَّا تكونَ كَمِثْلِهِ ... وأَنَّكَ لم تَرْصُدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/١٥٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٧٤).
(٣) شعر الحطيئة (ص١٨١).

فالبِدَارَ البِدَارَ قبلَ فواتِ الأوانِ وضياعِ الفُرَصِ.

قالَ الشاعرُ:

بَادِرْ بخيرٍ إذا ما كُنتَ مُقْتَدِراً فليسَ في كُلِّ وقتٍ أنتَ مُقْتَدِرُ

٧ ـ غض الصوت عند رسول الله من التقوى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: ٣].

مدحَ اللهُ تعالى مَنْ غَضَّ صوتَهُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، بأنَّ الله امتحنَ قلوبَهُمْ للتقوى، أي: ابتلاهَا واختبرهَا، فظَهَرَتْ نتيجةُ ذلكَ، بأَنْ صَلَحَتْ قلوبُهم للتَّقوى.

ثمَّ وعدَهُم المغفرةَ لذنوبهم، المتضمِّنَةَ لزوالِ الشرِّ والمكروهِ، وحصولِ الأجرِ العظيمِ، الذي لا يعلَمُ وصفَهُ إلَّا اللهُ تعالى، وفيهِ حصولُ كُلِّ محبوبٍ. وفي هذا دليلٌ على أنَّ اللهَ يمتحنُ القلوبَ، بالأمرِ والنَّهْيِ والمِحَنِ.

فمَنْ لازمَ أمرَ الله، واتَّبَعَ رضاه، وسارعَ إلى ذلكَ، وقَدَّمَهُ على هواه، تَمَحَّضَ وَتَمَحَّصَ للتَّقوى، وصارَ قلبُه صالحاً. ومنْ لَمْ يكُنْ كذلكَ، عَلِمَ أَنَّهُ لا يَصْلُحُ للتقوى[1].

٨ ـ التقوى من عزائم الأمور:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥/٦٨).

أي: إن تَصبِروا على ما نَالَكُمْ في أموالِكُم وأنفسِكُم مِنَ الابتلاءِ، والامتحانِ، وعلى أذيَّةِ الظالمينَ، وتتقوا اللهَ في ذلكَ الصبرِ بأن تَنْوُوا بهِ وجهَ اللهِ، والتَّقَرُّبَ إليهِ، ولم تَتَعَدَّوْا في صبركم، الحَدَّ الشرعيَّ مِنَ الصبرِ في موضعٍ لا يَحِلُّ لكم فيهِ الاحتمالُ، بلْ وظيفتُكُم فيهِ الانتقامُ منْ أعداءِ اللهِ.

فإنَّ ذلكَ مِنَ الأمورِ التي يُعْزَمُ عليها، ويُنَافَسُ فيها، ولا يُوفَّقُ لها إلَّا أهلُ العزائمِ والهِمَمِ العاليةِ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٥][1].

٩ ـ الوصية بالتقوى:

قالَ اللهُ تَعَالَى ـ وهوَ أَصْدقُ مِنْ قَالَ، وأرْحمُ مَنْ أَمرَ، وأعلمُ مَنْ أَوْحى، وأكرمُ منْ هدى، وهوَ أشفقُ علينا منْ أنفسنا[2] ـ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: ١٣١].

أليسَ اللهُ تعالى أعلمَ بصلاحِ العبدِ من كلِّ أحدٍ؟ أو ليسَ هوَ أنصحَ لهُ وأرحمَ وَأَرْأَفَ مِنْ كُلِّ أَحدٍ؟ ولو كانتْ في العالمِ خصلةٌ هي أصلحُ للعبدِ، وأَجْمَعُ للخيرِ، وأعظمُ للأجرِ، وَأَجَلُّ فِي العبوديَّةِ، وأعظمُ في القَدْرِ، وأولى بالحالِ، وأَنْجَحُ للآمالِ منْ هٰذهِ الخصلةِ التي هي التقوى، لكانَ اللهُ تعالى أمرَ بها عبادهُ، وأوصى خواصَّهُ بذلكَ، لكمالِ حكمتِه وسعةِ رحمتِه، فلمَّا أوصى بهذهِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٠١).

(٢) وصية الذهبي (ص١٧).

الخصلةِ الواحدةِ، وجمعَ الأوَّلينَ والآخرينَ منْ عبادِه في ذلكَ، واقتصرَ عليهَا، علمتَ أنَّها الغايةُ التي لا مُتَجاوزَ عنهَا، ولا مقصودَ دونها، وأنَّه ﷻ قد جمعَ كُلَّ نصحٍ ودلالةٍ، وإرشادٍ وتنبيهٍ وتأديبٍ، وتعليمٍ وتهذيبٍ، في هذهِ الوصيَّةِ الواحدةِ، كما يليقُ بحكمتهِ ورحمتهِ، وعلمتَ أنَّ هذهِ الخصلةَ، التي هي التقوى، هي الجامعةُ لخيرِ الدنيا والآخرة، الكافيةُ لجميعِ المهمَّاتِ، المبلِّغةُ إلى أعلى الدَّرجاتِ.

وهذا أصلٌ لا مزيدَ عليهِ، وفيهِ كفايةٌ لمنْ أبصرَ النُّورَ واهتدى، وعملَ بذلكَ واستغنى، والله وليُّ الهدايةِ والتوفيقِ بمَنِّه. ولقد أحسنَ القائلُ:

مَنْ عَرَفَ اللهَ فَلَمْ تُغْنِهِ ... مَعْرِفَةُ اللهِ فَذَاكَ الشَّقِي

مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ بِعِزِّ الْغِنَى ... وَالعِزُّ كُلُّ العِزِّ لِلْمُتَّقِي

١٠ ـ البر والتقوى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

البِرُّ الذي أمرَ اللهُ به، هو لزومُ تقواه على الدوامِ، بامتثالِ أوامرهِ، واجتنابِ نواهيه، فإنَّه سببٌ للفلاح، الذي هو الفوزُ بالمطلوبِ، والنَّجاةُ مِنَ المرهوب. فمنْ لمْ يَتَّقِ اللهَ تعالى، لم يَكُنْ لهُ سبيلٌ إلى الفلاحِ، ومَنِ اتَّقَاه، فازَ بالفلاحِ والنَّجاحِ[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٥٠).

١١ ـ التعاون على البر والتقوى:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وقد اشتملَتْ هذهِ الآيةُ على جميعِ مصالحِ العبادِ في معاشِهم ومعادِهم، فيما بينهم بعضُهم بعضاً، وفيما بينهم وبينَ ربِّهم، فإنَّ كُلَّ عبدٍ لا يَنْفَكُّ عنْ هاتَيْنِ الحالَتَيْنِ، وهذينِ الواجبينِ: واجبٌ بينهُ وبينَ الله، وواجبٌ بينهُ وبينَ الخلقِ.

فأمَّا ما بينهُ وبينَ الخلقِ: مِنَ المعاشرةِ والمعاونةِ والصحبةِ، فالواجبُ عليهِ فيهَا أنْ يكونَ اجتماعهُ بهم، وصحبتُه لهم، تعاوناً على مرضاةِ اللهِ وطاعتِه، التي هي غايةُ سعادةِ العبدِ وفلاحِه ولا سعادةَ له إلَّا بها، وهي البِرُّ والتقوى، اللَّذان هما جماعُ الدِّينِ كُلِّه، وإذا أُفْرِدَ كُلُّ واحدٍ من الاسمَيْنِ، دخلَ في مُسَمَّى الآخَرِ.

فإنَّ حقيقةَ البِرِّ: هوَ الكمالُ المطلوبُ مِنَ الشيء والمنافعُ التي فيهِ والخيرُ، كما يدلُّ عليهِ اشتقاقُ هذهِ اللفظةِ وتصاريفُها في الكلام، ومنه «البُرُّ» بالضمِّ لمنافعهِ وخيرهِ بالإضافةِ إلى سائرِ الحبوبِ، ومنهُ رجلٌ بارٌ وبَرٌّ، وكِرَامٌ بَرَرَةٌ، والأبرارُ.

فالبِرُّ: كلمةٌ جامعةٌ لجميعِ أنواعِ الخيرِ والكمالِ المطلوبِ مِنَ العبدِ، وفي مقابلتِه الإثمُ[١].

---

(١) الرسالة التبوكية (ص٤ ـ ٦).

والمقصود أنَّ «حكمَ العبدِ فيما بينهُ وبينَ النَّاسِ، أنْ تكونَ مخالطتُه لهم تعاوناً على البرِّ والتقوى، علماً وعملاً.

وأمَّا حالُه فيما بينهُ وبين الله تعالى: فهو إيثارُ طاعتِه وتجنُّبُ معصيتِه، وهوَ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٢].

فأرشدتِ الآيةُ إلى ذِكْرِ واجبِ العبدِ بينَهُ وبينَ الخلقِ، وواجبِهِ بينَهُ وبينَ الحَقِّ، ولا يَتِمُّ له أداءُ الواجبِ الأولِ إلَّا بعزلِ نفسهِ مِنَ الوسطِ، والقيامِ بذلكَ لِمَحْضِ النَّصِيحَةِ والإحسانِ ورعايةِ الأمرِ. ولا يَتِمُّ له أداءُ الواجبِ الثاني إلَّا بعزلِ الخلقِ من البَيْنِ، والقيامِ له باللهِ إخلاصاً ومحبةً وعبوديةً.

فينبغي التَّفَطُّنُ لهذهِ الدقيقةِ، التي كُلُّ خَلَلٍ يدخلُ على العبدِ في أداءِ هذينِ الأمرينِ الواجبينِ، إنَّما هُو منْ عدمِ مراعاتها علماً وعملاً»[1].

١٢ ـ الأمر بالتقوى وصلة الأرحام:

قال اللهُ جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

كرر الاتقاءَ تأكيداً وتنبيهاً لنفوسِ المأمورينَ. والأرحامُ معطوفٌ. أي: اتقوا اللهَ أنْ تعصوهُ، واتقوا الأرحامَ أنْ تقطعوها[2].

(١) الرسالة التبوكية (ص٧ ـ ١٦) بتصرف يسير.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤).

١٣ ـ الأمر بالتقوى وإصلاح ذات البين:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

أي: اتقوا اللهَ بامتثالِ أوامرهِ، واجتنابِ نواهِيهِ، وأصلحوا ما بينكم: مِنَ التَّشَاحُنِ، والتَّقَاطُعِ والتَّدَابُرِ، بالتَّوادُدِ، والتَّحَابِّ، والتَّوَاصُلِ. فبذلكَ تجتمعُ كلمتُكم، ويزولُ ما يحصلُ ـ بسببِ التقاطعِ ـ مِنَ التخاصمِ، والتشاجرِ والتنازعِ. ويدخلُ في إصلاحِ ذاتِ البينِ، تحسينُ الخلقِ لهم، والعفوُ عنِ المسيئينَ منهم فإنَّهُ ـ بذلكَ ـ يزولُ كثيرٌ ممَّا يكونُ في القلوبِ مِن البغضاءِ، والتدابرِ[(١)].

قال ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: «هذا تَحْرِيجٌ مِنَ اللهِ على المؤمنينَ أن يَتَّقُوا اللهَ وأن يُصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِهِمْ»[(٢)].

١٤ ـ التقوى سبب للفلاح:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

فأمرَ أولي الألباب، أي: أهلُ العقولِ الوافيةِ، والآراءِ الكاملةِ، فإنَّ الله تعالى يُوَجِّهُ إليهم الخِطَابَ. وهم: الذين يُؤْبَهُ لهم، ويُرْجَى أنْ يكونَ فيهم خيرٌ. ثمَّ أخبرَ أنَّ الفلاحَ، مُتَوَقِّفٌ على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٩٢) بسند صحيح.

التقوى، التي هيَ موافقةُ اللهِ في أمرِهِ ونهيِهِ. فمن اتقاه أفلحَ كُلَّ الفلاحِ. ومنْ تركَ تقواه، حصلَ لهُ الخسرانُ، وفاتَتْهُ الأرباحُ[1].

١٥ ـ التقوى سبب لحفظ الذرية:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩].

قال القَاسِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وفي الآية إشارةٌ إلى إرشاد الآباء ـ الذين يَخشون تركَ ذريةٍ ضعافٍ ـ بالتقوى في سائر شؤونهم حتَّى تُحفظَ أبناؤهم وتُغاث بالعناية منهُ تعالى، ويكونُ في إشعارها تهديدٌ بضياعِ أولادهم إنْ فقدوا تقوى الله، وإشارةٌ إلى أنَّ تقوى الأصولِ تحفظُ الفروعَ، وأنَّ الرجالَ الصالحين يُحفظونَ في ذريتهم الضعاف كما في آية: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

فإنَّ الغلامينِ حُفظا ببركةِ صلاحِ أبيهما في أنفسهما ومالهما»[2].

قال المباركُ بنُ كاملٍ: «سمعتُ عبدَ الوهَّابِ بنَ قاسمِ بْنِ عَلِيٍّ الشعرانيَّ قال: رأيتُ جعفرَ الدرزيجانيَّ جاء إلى بغداد، فالتقى به أبو الحسين الدرزيجانيُّ، فقال له: كَيفَ تَرَكْتَ الصِّبيانَ؟، فقالَ لهُ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٥٢١).

(٢) محاسن التأويل (٥/ ٤٧).

ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩]، تقوى الله لنا ولهم»[1].

١٦ ـ تعظيم شعائر الله من التقوى:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

أي: ذلك الذي ذكرناهُ لكم، منْ تعظيمِ حرماتِه وشعائرِه.

والمرادُ بالشعائر: أعلامُ الدينِ الظاهرةِ، ومنها المناسكُ كلُّها، كمَا قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومنها: الهدايا والقربانُ للبيتِ. ومعنى تعظيمها: إجلالُها، والقيامُ بها، وتكميلُها على أكملِ ما يقدرُ عليهِ العبدُ.

ومنها: الهدايا، فتعظيمُها: باستحسانِها واستسمانِها، وأن تكونَ مكمَّلةً منْ كلِّ وجهٍ.

فتعظيمُ شعائرِ الله، صادرٌ منْ تقوى القلوبِ، فالمعظِّمُ لها، يُبَرْهِنُ على تقواه، وصحةِ إيمانِهِ، لأنَّ تعظيمَها، تابعٌ لتعظيمِ اللهِ وإجلالِه[2].

فالذي «يعظِّمُ شعائرَ اللهَ فيرى أنَّهَا عظيمةٌ في قلبِهِ، ويقومُ بما ينبغي لها مِنَ التعظيمِ بجوارحِهِ، فإنَّ هذا منْ تقوى القلوبِ، علامةٌ على صلاحِ نيتِه وتقوى قلبهِ، وإذا اتقى القلبُ اتَّقَتِ الجوارحُ.

فعليكَ بتعظيمِ شعائرِ اللهِ فإنَّ ذلكَ تقوى لقلبكَ، وأيضاً يكونُ

---

(١) طبقات الحنابلة (٣/ ١١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).

خيراً لكَ عندَ اللهَ عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]»[1].

١٧ ـ التقوى خير لباس:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

ذكرَ اللهُ تعالى نوعَيْنِ مِنَ اللِّبَاسِ: نوعاً ظاهراً ونوعاً باطناً، أو نوعاً حسيّاً ونوعاً معنويّاً، وذكرَ أنَّ الحسيَّ قسمان: قسمٌ ضروريٌّ توارى بهِ العورةُ، وقسمٌ كماليٌّ ـ وهو الريشُ ـ لباسُ الزينةِ.

والله ﷻ منْ حكمتِه أنْ جعلَ بني آدمَ محتاجينَ للباسِ لِمُوَارَاةِ السَّوْءَةِ، يعني لتغطيةِ السوءةِ، حتَّى يتسترَ الإنسانُ، وكما أنَّهُ محتاجٌ للباسٍ يواري سوءتهُ الحسيَّة، فهوَ محتاجٌ للباسٍ يواري سوءتهُ المعنوية وهي المعاصي، وهذا منْ حكمةِ الله تعالى.

وإذا كانَ لباسُ التقوى خيراً منْ لباسِ الظاهرِ، فيجبُ على الإنسانِ أنْ يفكِّرَ، حيثُ تجدنا نحرصُ على نظافةِ اللِّباسِ الظَّاهرِ ـ فالإنسانُ إذا أصابَ ثوبَهُ بقعةٌ أو وسخٌ، ذهبَ يغسلهَا بالماءِ والصابونِ، وبما يقدرُ عليه مِنَ المنظِّفِ ـ لكن لباسُ التقوى كثيرٌ مِنَ النَّاسِ لا يهتمُّ بهِ، يتنظفُ أو يتسخُ لا يهتمُّ بهِ.

مع أنَّ هذا كما قال الله عزَّ وجلَّ: هو الخير، وهو إشارةٌ إلى

---

(١) شرح رياض الصالحين (٧/١٠١) للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

أنَّه يجبُ الاعتناءُ بلباسِ التقوى أكثر ممَّا يجبُ الاعتناءُ بلباسِ البدنِ الظاهرِ الحسيِّ، لأنَّ لباسَ التقوى أَهَمُّ، وهنا قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ولم يقل: ولباسُ التقوى هو خير، لأنَّ ذلكَ اسمُ إشارة، وجيءَ بها للبعيدِ إشارةٌ إلى علوِّ مرتبةِ هذا اللباسِ، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة: ١، ٢] ولمْ يقلْ هذا الكتابُ، إشارةٌ إلى علوِّ مرتبةِ القرآنِ، كذلكَ قولُه: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] إشارة إلى عُلُوِّ مرتبةِ لباسِ التقوى.

فينبغي للإنسان أنْ يعتنيَ بهذا اللباسِ، بأنْ يتقي الله عزَّ وجلّ، وأنْ يفكِّرَ دائماً في سيئاتِه ومعاصيهِ، وتنظيفُ السيئاتِ والمعاصي أسهلُ منْ تنظيفِ الثيابِ الظاهرةِ، الثيابُ الظاهرةُ تحتاجُ إلى عملٍ وتعبٍ وأجرةٍ وتحضيرِ ماءٍ ومنظِّفٍ، لكن هذا الأمر سهلٌ جداً: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١٣٥] بالاستغفار والتوبةِ يمحى كلُّ ما سلفَ، نسألَ الله تعالى أنْ يتوبَ علينا بمَنِّه وكَرَمِه[1].

ولقدْ أحسنَ القائلُ حينَ قالَ:

إذا المرءُ لم يلبَسْ ثياباً من التُّقَى ... تَقَلَّبَ عرياناً وإن كانَ كاسياً

وخيرُ لباسِ المرءِ طاعةُ رَبِّهِ ... ولا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ للهِ عَاصِياً

١٨ ـ الأمر بالتقوى:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ

(١) شرح رياض الصالحين (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤) للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١ ـ ٢].

فحقيقٌ بالعاقِل، الذي يعرفُ أنَّ كلَّ هذا أمامهُ، أنْ يعدَّ لهُ عُدَّتَهُ، وأنْ لا يُلْهِيَهُ الأملُ، فيترك العملَ، وأنْ تكونَ تقوى الله شعارَهُ، وخوفُه دثارَهُ، ومحبةُ اللهِ وذكرُهُ رُوحَ أَعْمَالِهِ[١].

١٩ ـ التقوى وصية الرسل عليهم السلام:

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥ ـ ١٠٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣ ـ ١٢٤].

وقال جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الشعراء: ١٤١ ـ ١٤٢].

وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ ـ ١٦١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦ ـ ١٧٧].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء: ١٠ ـ ١١].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣/٣٠٦).

ولا شكَّ أنَّ الرسلَ هم أزكى البشرِ، وأنصحُ النَّاس لهم، فلو علموا أنَّ هناكَ خصلةً للنَّاسِ أنفعَ لهم مِنَ التقوى لَمَا عَدَلُوا عنها، فلمَّا أجمعوا عليهَا بانَ خطرُها وعظيمُ موقِعهَا وشرفُها. نسألُ اللهَ أنْ يجعلَنا منْ أهلهَا العاملينَ بها والمتعاونينَ عليها[1].

٢٠ ـ التقوى خير أساس:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

منْ أرادَ علوَّ بنيانه، فعليهِ بتوثيقِ أساسهِ وإحكامهِ وشدَّةِ الاعتناءِ بهِ؛ فإنَّ البنيانَ على قدرِ توثيقِ الأساسِ وإحكامِه.

فالأعمالُ والدرجاتُ بنيانٌ وأساسُها الإيمانُ؛ ومتى كانَ الأساسُ وثيقاً، حمل البنيانَ واعتلي عليه. وإذا تهدَّم شيء مِنَ البنيانِ سهلُ تداركهُ، وإذا كانَ الأساسُ غيرَ وثيقٍ، لم يرتفِع البنيانُ ولم يثبُتْ. وإذا تهدَّم شيءٌ مِنَ الأساسِ، سقطَ البنيانُ أو كادَ.

فالعارفُ هِمَّتُهُ تصحيحُ الأساسِ وإحكامُهُ، والجاهلُ يرفعُ في البناءِ عنْ غيرِ أساسٍ، فلا يلبثُ بنيانُه أنْ يسقطَ.

فالأساسُ لبناءِ الأعمالِ كالقوَّةِ لبدنِ الإنسانِ، فإذا كانتِ القوَّةُ قويةً حملتِ البدنَ ودفعتْ عنهُ كثيراً مِنَ الآفاتِ؛ وإذا كانت القوَّةُ ضعيفةً ضعفُ حملها للبدنِ، وكانتِ الآفاتُ إليهِ أسرعَ شيءٍ.

---

(١) التقوى الغاية المنشودة (ص٢٢)، للشيخ أحمد فريد.

فاحملْ بنيانكَ على قوَّةِ أساسِ الإيمانِ، فإذا تشعثَ شيءٌ منْ أعالي البناءِ وسطحهِ، كان تداركُه أسهلَ عليكَ منْ خرابِ الأساسِ.

وهذا الأساسُ أمرانِ:

الأولُ: صِحَّةُ المعرفةِ باللهِ وأمرِه وأسمائِه وصفاتِه.

والثاني: تجريدُ الانقيادِ لهُ ولرسولِه دونَ ما سواهُ.

فهذا أوثقُ أساسٍ أسّسَ العبدُ عليه بنيانَهُ، وبحسبهِ يعتلي البناءُ ما شاء.

فأَحْكِم الأَسَاسَ، واحْفَظِ القوَّةَ، ودُمْ على الحَميَةِ، واستفرغْ إذا زادَ بكَ الخلطُ، والقصدَ القصدَ، وقد بلغتَ المرادَ، وإلَّا فما دامتِ القوَّةُ ضعيفةً والمادَّةُ الفاسدةُ موجودةً والاستفراغُ معدوماً:

فَاقْرَ السَّلَامَ على الحياةِ فإنَّها ... قد آذَنَتْكَ بسُرْعَةِ التَّودِيعِ

٢١ ـ التقوى خير لأصحابها:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

فإنَّ تركَ عبادة الله، وتركَ تقواه، لا خيرَ فيهِ بوجهٍ. وإنَّما كانتْ عبادةُ الله وتقواه خيراً للنَّاسِ، لأنَّهُ لا سبيلَ إلى نيلِ كرامتِه في الدنيا والآخرةِ، إلَّا بذلكَ. وكلُّ خيرٍ يوجدُ في الدُّنيا والآخرةِ، فإنَّهُ منْ آثارِ عبادةِ الله وتقواه[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/٥٢).

التَّقْوَى فِي ظِلَالِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ

١ ـ عن أبي ذَرٍّ ﵁ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[1].

قالَ الْعَلَّامَةُ السَّعدي ﵀: «هذا حديثٌ عظيمٌ جمعَ فيهِ رسولُ اللهِ ﷺ بَينَ حقِّ الله وحقوقِ العِبَادِ، فحقُّ الله على عبادِهِ: أنْ يتَّقوه حقَّ تقاتِه، فيتَّقوا سخطَهُ وعذابَهُ باجتنابِ المنهياتِ وأداءِ الواجباتِ.

وهٰذهِ الوصيَّةُ هي وصيَّةُ الله للأوَّلينَ والآخرينَ، ووصيةُ كلِّ رسولٍ لقومِه أنْ يقولَ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٦].

فأمرَ ﷺ ووصَّى بملازمةِ التقوى حيثما كانَ العبدُ في كلِّ وقتٍ وكلِّ مكانٍ، وكلِّ حالةٍ مِنَ الأَحْوالِ، لأنَّهُ مضطرٌ إلى التقوى غايةَ الاضطرارِ، لا يستغني عنها في كلِّ حالةٍ منْ أحوالِهِ.

ثُمَّ لَمَّا كانَ العبدُ لا بُدَّ أنْ يحصلَ منهُ تقصيرٌ في حقوقِ التقوى وواجباتها، أمرَ ﷺ بما يدفعُ ذلكَ ويمحوهُ، وهو أنْ يُتْبِعَ الحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، والحاكم (١/ ٥٤) (١٧٨)، وحسّنه المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (١٦١٨).

ثُمَّ لَمَّا ذكرَ حقَّ الله ـ وهو الوصيَّةُ بالتَّقوى الجامعةِ لعقائدِ الدِّينِ وأعمالِهِ الباطنةِ والظاهرةِ ـ قالَ: «**وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**».

وأولُ الخلقِ الحسنِ: أن تَكُفَّ عنهم أذاكَ مِنْ كلِّ وجهٍ، وتعفوَ عنْ مساوئهم وأذيَّتهم لكَ، ثمَّ تعاملهم بالإحسانِ القوليِّ والإحسانِ الفعليِّ. وأَخَصُّ ما يكونُ بالخلقِ الحسنِ: سعةُ الحلمِ على النَّاسِ، والصبرُ عليهم، وعدمُ الضَّجَرِ منهم، وبشاشةُ الوجهِ، ولطفُ الكلامِ، والقولُ الجميلُ المؤنسُ للجليسِ، المُدْخِلُ عليهِ السُّرورَ، والمزيلُ لوحشتِه ومشقَّةِ حشمتِه. وقدْ يحسنُ المزحُ أحياناً إذا كانَ فيه مصلحةٌ، لكنْ لا ينبغي الإكثارُ منهُ، وإنَّما المزحُ في الكلامِ كالملحِ في الطعامِ، إنْ عدمَ أو زادَ على الحدِّ فهوَ مذمومٌ.

ومِنَ الخلقِ الحسنِ: أنْ تعاملَ كلَّ أحدٍ بما يليقُ به، ويناسبُ حالَهُ منْ صغيرٍ وكبيرٍ، وعاقلٍ وأحمقَ، وعالمٍ وجاهلٍ.

فمَنِ اتقى الله وحقَّقَ تقواه، وخالقَ النَّاسَ على اختلافِ طبقاتهم بالخلقِ الحسنِ، فقدْ حازَ الخيرَ كلَّهُ، لأنَّهُ قَامَ بحقِّ الله وحقوقِ العبادِ، ولأنَّهُ كانَ مِنَ المحسنينَ في عبادةِ الله، المحسنينَ إلى عبادِ اللهِ»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: **وفي هذا الحديثِ مِنَ الفوائدِ**:

حرصُ النبيِّ ﷺ على أمَّتِهِ بتوجيههم لما فيه الخير والصلاح.

ومنها: وجوب تقوى الله عزَّ وجلّ في أيِّ مكانٍ كان.

ومنها: وجوبُ التقوى في السرِّ والعلنِ؛ لقوله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت**».

ومنْ فوائدِ هذا الحديثِ: الإشارةُ إلى أنَّ السيئةَ إذا اتبعتَها

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٦٧ ـ ٧٠).

الحسنةَ فإنَّها تمحوهَا وتزيلها بالكليَّةِ، وهذا عامٌّ في كلِّ حسنةٍ وسيئةٍ إذا كانتِ الحسنةُ هي التوبة؛ لأنَّ التوبةَ تهدمُ ما قبلها، أمَّا إذا كانت الحسنةُ غيرَ التوبةِ وهو أنْ يعملَ الإنسانُ عملاً سيئاً ثمَّ يعملُ عملاً صالحاً، فإنَّ هذا يكونُ بالموازنةِ، فإذا رجحَ العملُ الحسنُ على السيِّئ، زالَ أثرهُ كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ثمَّ قالَ: «**وخَالقِ النَّاسِ بخلقٍ حسنٍ**»: عاملهم بالأخلاقِ الحسنةِ بالقولِ والفعلِ، فإنَّ ذلكَ خيرٌ. وهذا الأمرُ إمَّا على سبيلِ الوجوبِ، وإمَّا على سبيلِ الاستحبابِ. فيستفادُ منهُ: مشروعيَّةُ مخالقَةِ النَّاسِ بالخلقِ الحسنِ وأطلقَ النبيُّ ﷺ كيفيَّةَ المخالقةِ، وهيَ تختلفُ بحسبِ أحوالِ الناسِ فقدْ تكونُ حسنةً لشخصٍ، ولا تكونُ حسنةً لغيرهِ. والإنسانُ العاقلُ يعرفُ ويزنُ[1].

٢ ـ عنْ أبي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قيلَ يا رسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**». قالوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[2].

قالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: «وفي الحديثِ فضلُ الانفرادِ لما فيهِ مِنَ السَّلامةِ مِنَ الغيبةِ واللَّغْوِ ونحوِ ذَلِكَ»[3].

---

(١) التعليقات على الأربعين النووية (ص٤١ ـ ٤٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٧٨٦ و٦٤٩٤) واللفظ له، ومسلم (١٨٨٨).

(٣) فتح الباري (٦/ ٩).

وقال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهٰذا فيهِ دلالةٌ على أنَّ الاعتزالَ عَنِ الشَّرِّ مِنَ الإيمانِ»[1].

٣ ـ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ آخِرَ كَلامِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الصَّلَاةَ، الصَّلَاةَ، اتَّقُوا اللهَ فيما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم**»[2].

٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوْلِيَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُتَّقُونَ، وَإِنْ كَانَ نَسَبٌ أَقْرَبَ مِنْ نَسَبٍ، فَلَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِالأَعْمَالِ، وَتأْتُونَ بِالدُّنْيَا تَحْمِلُونَهَا عَلى رِقَابِكُمْ، فَتَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! فَأَقُولُ هَكَذَا وَهَكَذَا: لا**» وأعرضَ في كِلَا عِطْفَيْهِ[3].

وفي الحديثِ إشارةٌ إلى أنَّ ولايَتَهُ ﷺ لا تُنالُ بالنَّسبِ، وإنْ قَرُبَ، وإنَّما تُنَالُ بالتقوى، فمنْ كانَ أكملَ إيماناً وعملاً، فهوَ أعظمُ ولايةً لهُ، سواء كانَ لهُ منهُ نسبٌ قريبٌ، أو لمْ يكنْ، وفي هذا المعنى يقولُ بعضهم:

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إلَّا بِدِينِهِ ... فَلا تَتْرُكِ التَّقوى اتِّكالاً على النَّسَبِ
لَقَدْ رَفَعَ الإسلامُ سَلْمَانَ فَارِس ... وَقَدْ وَضَعَ الشِّركُ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبِ[4]

٥ ـ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ**»[5].

---

(١) فتح الباري (١/١٠٦) لابن رجب الحنبلي.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٥٨)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الأدب المفرد» (١١٨).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٧)، وحسّنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الأدب المفرد» (٦٨٨).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/٣١٠) بتصرف وزيادة.

(٥) أخرجه أحمد (٢/٤٣١) (٩٥٦٤) واللفظ له، والبخاري (٣٣٥٣ و٣٣٧٤ و٣٣٨٣ و٣٤٩٠ و٤٦٨٩)، ومسلم (٢٣٧٨).

قال المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أصلُ الكرمِ كثرةُ الخيرِ. فلمَّا كَانَ المتَّقي كثيرَ الخيرِ والفائدةِ في الدُّنيا والآخرةِ، ولهُ الدرجاتُ العليا في الأخرى، كان أَعَمَّ النَّاسِ كرماً فهو أتقاهم، فلا عبرةَ بظاهرِ الصُّوَرِ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. فرُبَّ حقيرٍ أعظمُ قدراً عندَ اللهِ من كثيرٍ منْ عظماءِ الدُّنيا»[١].

وقال العلّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: من أكرم الناس؟، قال: أتقاهم» أي: أكرم النَّاسِ أتقاهم لله عزَّ وجلَّ. وهذا الجوابُ مطابقٌ تماماً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالله سبحانه لا ينظر إلى النَّاس من حيث النَّسبِ، ولا من حيثُ الحسبِ، ولا من حيثُ المالِ، ولا منْ حيثُ الجَمَالِ، وإنَّما ينظرُ سبحانهُ إلى الأعمالِ.

فأكرمُ النَّاسِ عندهُ أتقاهم إليه، ولهذا يمدُ أهل التقوى بما يمدهم بهِ مِن الكراماتِ الظاهرةِ أو الباطنةِ لأنَّهم أكرمُ خَلْقِهِ عندهُ، ففي هذا حَثٌّ على تقوى الله عزَّ وجلَّ، وأنَّهُ كلَّما كانَ الإنسانُ أتقى لله فهوَ أكرمُ عندهُ.

والشاهدُ منْ هذا الحديثِ قولُ الرسولِ ﷺ: «**إنَّ أكرمَ الخلقِ أتقاهم**».

فإنْ كنتَ تريدُ أن تكونَ كريماً عندَ الله وذا منزلةٍ، فعليكَ بالتَّقوى. فكلَّما كانَ الإنسانُ لله أتقى، كانَ عندهُ أكرمَ. أسألُ اللهَ أنْ يجعلَني وإيَّاكم مِنَ المتقينَ[٢].

---

(١) فيض القدير (٢/ ٩٠).

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٤).

٦ ـ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قالَ: أتانا رسولُ اللهِ ﷺ إلى البقيعِ فقال: «**يا مَعْشَرَ التُّجَّارِ!**» حتَّى إذا اشْرَأَبُّوا قالَ: «**إِنَّ التُّجَّارَ يُحْشَرُونَ يومَ الْقِيامَةِ فُجَّاراً، إلَّا مَنِ اتَّقَى وَبَرَّ وصَدَقَ**»[١].

قال الطيبيُّ رحمه الله: «لمَّا كَانَ دَيْدَنُ التُّجَّارِ التدليسَ في المعاملاتِ، والتَّهالكَ على ترويجِ السِّلعِ بما يتيسرُ لهم مِنَ الأيمانِ الكاذبةِ ونحوها، حكمَ عليهم بالفجورِ، واستثنى منهم: إلَّا مَنِ اتَّقى المحارمَ وَبَرَّ في يمينهِ وصَدَقَ في حديثِهِ»[٢].

٧ ـ عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَسَبُ: المَالُ، والكَرَمُ: التَّقْوَى**»[٣].

أشارَ النَّبيُّ ﷺ «بالخبرِ إلى أنَّ الحسبَ الذي يفتخرُ به أبناءُ الدنيا اليومَ المالُ، فقصدَ ذمَّهم بذلك، حيثُ أعرضوا عَنِ الأحسابِ الخفيةِ ومكارمِ الأخلاقِ الدينيةِ. ألا ترى أنَّه أعقبهُ بقولهِ: «**والكَرَمُ التَّقْوَى**» والتَّقوى تشملُ المكارمَ الدينيةَ والشِّيَمَ الْمَرْضِيَّةَ التي فيهَا شرفُ الدارَيْن»[٤].

٨ ـ عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ في حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُم**»[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٤٨) بسند جيد.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة (ص٢١١٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٧١)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٦٠٩).

(٤) فيض القدير (٣/ ٤١٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٦١٦)، وابن حبان «الإحسان» (٤٥٦٣)، والحاكم =

٩ ـ عَنْ أبي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**لا تُصَاحِبْ إلَّا مُؤْمِناً، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ**»[1].

ومعنى الحديثِ: لا تَدْعُ إلى مؤاكلتكَ إلَّا الأتقياءَ، لأنَّ المؤاكلَةَ تُوجِبُ الإِلْفَةَ وتجمعُ بينَ القلوبِ. فَتَوَخَّ أنْ يكونَ خلطاؤكَ وذوو الاختصاصِ بكَ أهلَ التقوى[2]. لأنَّ مجالسةَ الحريصِ ومخالطتَهُ تحرِّكُ الحرصَ، ومجالسةَ الزَّاهِدِ ومخالطتَهُ تزَّهدُ في الدنيا؛ ولأنَّ الطباعَ مجبولةٌ على التَّشبُّهِ والاقتداءِ، بَلِ الطَّبْعُ يَسْرقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حيثُ لا يدري.

ورحمَ اللهُ القائلَ:

وصاحِب أُولي التَّقوى تَنَلْ من تُقَاهم ... ولا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

قالَ إبراهيمُ بْنُ شَيْبَانَ ﵀: «صحبتُ أبا عبد الله المغربيَّ ثلاثين سنة، فدخلتُ عليه يوماً وهو يأكلُ، فقال لي: ادْنُ وكُلْ معي، فقلتُ لهُ: إني قد صحبتُك منذُ ثلاثينَ سنة لم تَدْعُني إلى طعامِكَ إلَّا اليومَ، فما بالُكَ دعوتني اليومَ؟ فقالَ: لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ**» ولم يظهَرْ لِي تُقَاكَ إلَّا اليَوْمَ»[3].

= (١/ ٩ و٣٨٩ و٤٧٣) (١٩ و١٤٣٦ و١٧٤١)، وصحّحه المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (٥٠٢).

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وابن حبان «الإحسان» (٥٥٤ و٥٥٥ و٥٦٠)، والحاكم (٤/ ١٢٨) (٧١٦٩)، وحسّنه المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٤٥).

(٢) العزلة (ص٥٧) للخطابي.

(٣) شذرات الذهب (٤/ ٢٠٠).

١٠ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا ـ وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ـ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[(١)].

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رحمه الله: «قوله ﷺ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**» يشيرُ إلى صدرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ: فيه إشارةٌ إلى أنَّ أكرمَ الخلقِ عندَ الله بالتَّقوى، فرُبَّ منْ يَحْقِرُهُ النَّاسُ لضعفِه، وقِلَّةِ حَظِّهِ مِنَ الدنيا، وهو أعظمُ قدْراً عندَ الله تعالى ممَّنْ لهُ قَدْرٌ في الدنيا، فإنَّ النَّاسَ إنَّما يتفاوتونَ بِحَسْبِ التَّقوى، كمَا قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]»[(٢)].

قولُهُ: «**ولا يحقرُه**»: «لا يجوزُ تحقيرُ المتَّقي مِنَ الشِّرْكِ والمعاصي، والتَّقوى محلُّهُ القلب، وما كان محلَّهُ القلبُ يكونُ مَخْفِيًّا عنْ أعينِ الإنسِ. وإذا كانَ مخفياً فلا يجوزُ لأحدٍ أنْ يحكمَ بعدمِ تقوى مسلم حتَّى يحقرَهُ، ويحتملُ أنْ يكونَ معناهُ محلُّ التَّقوى هو القلبُ، فمنْ كانَ في قلبِه التقوى فلا يحقرُ مسلماً؛ لأنَّ المتَّقي لا يحقرُ المسلمَ.

والقولُ الثاني أَوْجَهُ، والنَّظمُ لهُ أدْعى؛ لأنَّهُ ﷺ إنَّما شبَّهَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٧ و٣١١ و٣٦٠) (٧٧١٣ و٨٠٨٩ و٨٧٠٨)، ومسلم (٢٥٦٤) واللفظ له، والترمذي (١٩٢٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٧٥).

المسلمَ بالأخ ليُنَبِّهَ على المساواةِ، وأنْ لا يرى أحدٌ لنفسَهُ على أحدٍ مِنَ المسلمين فضلاً ومزيَّةً، ويحبُّ له ما يحبُّ لنفسه، وتحقيرُه إيَّاه ممَّا ينافي هذه الحالةَ وينشأ منهُ قطعُ وَصْلَةِ الأُخُوَّةِ التي أمَرَ الله تعالى بها أنْ تُوصَلَ، ومراعاةُ هذهِ الشَّريطَةِ أمرٌ صعبٌ؛ لأنَّهُ ينبغي أنْ يُسَوِّيَ بين السلطانِ وأدنى العوامِ، وبينَ الغنيِّ والفقيرِ، وبينَ القويِّ والضعيفِ والكبير والصغيرِ. ولا يتمكَّنُ منْ هذهِ الخصلةِ إلَّا مَنِ امتحنَ اللهُ قلبَهُ للتَّقوى، وأخلصهُ مِنَ الكبرِ والغشِّ والحقدِ، ونحوها: إخلاصُ الذهبِ الإبريزِ منْ خبثِهِ ونقَّاهُ منها، فيؤثرُ لذلكَ أمرَ الله تعالى على متابعةِ الهوى؛ ولذلكَ جاءَ قولُهُ ﷺ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**» معترضاً بينَ قولِه: «**ولا يَحْقِرُهُ**» وقولِه: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يحقَر أخاهُ المسلم**»، فإنَّ كُلًّا منهما متضمِّنٌ للنَّهيِ عَنِ الاحتقارِ.

وأنتَ عرفتَ أنَّ موقعَ الاعتراضِ بينَ الكلامِ موقعُ التأكيدِ والتقرير. وقولُه: «**كُلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حرامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» هو الغرضُ الأصليُّ والمقصودُ الأولى، والسابق كالتمهيدِ والمقدمةِ لهُ، وجعلَ مالَ المسلمِ وعرضه جزءاً منهُ»[1].

ولأجل أنَّ التقوى تَشُدُّ منْ عُقَدِ هذهِ الأخوةِ، وتَسْتَوْثِقُ مِنْ عُرَاهَا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الحجرات: ١٠] يعني أَنَّكم إِن اتقيتم لم تحمِلْكم التَّقوى إلَّا على التَّواصِلِ والائتلافِ، والمسارعةِ إلى إماطةِ ما يبعدُ عنهُ، وأنَّ مستقرَّ التقوى ومكانَهُ المضغةُ التي إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّه،

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة (ص٣١٧٨).

وإذا فَسدتْ فسدَ. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]. ولذلكَ كررَ صلواتُ الله وسلامُه عليهِ هذهِ الكلمةَ؛ وأشارَ بيدهِ إلى صدرهِ ثلاثاً؛ وإنَّما عدلَ الراوي عَنِ الماضي إلى المضارعِ، فقالَ: «يُشيرُ بيدِه إلى صدرِه» ولم يقلْ: أشارَ، استحضاراً لتلكَ الحالةِ في مشاهدةِ التابعِ، واهتماماً بشأنها، ونحوه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨]، ومنْ ثَمَّ أشارَ ﷺ إلى صدرهِ، ولمْ يقلْ: التَّقوى في القلبِ، ليكونَ أبلغَ في الدَّلالةِ على المرادِ.

وقولُهُ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشرِّ أن يحقرَ أخاهُ المسلمَ**» تقديرهُ: حسبُ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ احتقاره أخاه. أي: كافيه مِنَ الشَّرِّ ذلكَ؛ فإنَّهُ النَّصيبُ الأكبرُ، والحظُّ الأوفى. ويفيدُ: أنَّ احتقارَ المسلمِ حرامٌ[1].

وهذا الحديثُ مِنَ الجوامعِ وفصلِ الخطابِ الذي خُصَّ بهِ هذا النبيُّ المكرَّمُ صلواتُ الله وسلامُه عليه[2].

وقالَ العِزُّ بْنُ عَبدِ السَّلام رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّما جعلَ التقوى في الصدرِ؛ لأنَّ الأفعالَ الظاهرةَ لا تكون تقوى إلَّا بحسنِ الضمائرِ والإخلاصِ، فالقلبُ مَنْبَعُ كلِّ تقوى، إذْ لا تتقى النَّارُ بشيءٍ مِنَ الأعمالِ الظاهرةِ إلَّا بإخلاصهِ بالقلبِ»[3].

وقالَ العلَّامةُ ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ: في قولِه عليه الصَّلاة

---

(١) المفهم (٦/ ٥٣٧).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة (ص٣١٧٩).

(٣) شجرة المعارف (ص٢٠٥).

والسَّلام: «**التقوى هاهنا**»: «يعني أنَّ التقوى في القلبِ، فإذا اتقى القلبُ اتقتِ الجوارحُ، وإذا لم يَتَّقِ القلبُ لمْ تَتَّقِ الجوارحُ، وهذا كقوله ﷺ: «**أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[1]. فإذا كانَ في قلبِ الإنسانِ تقوى اللهِ عزَّ وجلَّ وخوفٌ منهُ وخشيةٌ لهُ، استقامت أعمالُه الظاهرة، لأنَّ الأعمالَ الظاهرةَ تتبعُ القلبَ.

واعلم أنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يجادلُ بالباطلِ بهذا الحديثِ، فإذا أمرتهُ بمعروفٍ، أو نهيته عنْ منكرٍ، قالَ: التقوى هاهنا. تقولُ لهُ: لا تحلِقْ لحيتَكَ فحلقُ اللحيةِ حرامٌ، وحلقُ اللحيةِ منْ هدي المجوسِ والمشركينَ، وإعفاءُ اللحيةِ منْ هديِ النبيينَ والمرسلينَ وأولياءِ الله الصالحين. إذا قلتَ لهُ هذا، قالَ: التَّقوى هاهنا، التَّقوى هاهنا. نقولُ لهُ: كَذَبْتَ، وإنَّهُ ليس في قلبكَ تقوى، لو كانَ في قلبكَ تقوى لاتَّقَيْتَ اللهَ، لأنَّ القلبَ إذا اتقى اتَّقَتِ الجوارحُ، وإذا انْهَمَكَ في معصيةِ الله انْهَمَكَتِ الجوارحُ»[2].

١١ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن أَكْثَرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟، فقالَ: «**تَقْوَى اللهِ وحُسْنُ الْخُلُقِ**»[3]. وسُئِلَ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟، فَقَالَ: «**الفَمُ والفرجُ**»[3].

---

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٦٩٩ ـ ٧٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وابن حبان «الإحسان» (٤٧٦)، وحسّن إسناده العلّامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٦٣٠).

قالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «جمعَ النبيُّ ﷺ بينَ تقوى اللهِ وحُسْنِ الخُلُقِ؛ لأنَّ تقوى الله تُصْلِحُ ما بينَ العبدِ وبين ربِّهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ يُصْلِحُ ما بينهُ وبينَ خلقِه:

فتقوى اللهِ توجبُ له مَحَبَّةَ اللهِ.

وحسنُ الخلقِ يدعو النَّاسَ إلى محبته»[1].

وقال الصنعانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الحديثُ دليلٌ على عظمةِ تقوى الله وحسنِ الخلقِ. وتقواه تعالى هي الإتيانُ بالطاعاتِ واجتنابُ المقبحاتِ. فمنْ أتى بها وانتهى عَنِ المنهياتِ فهِي منْ أعظمِ أسباب دخولِ الجنَّةِ»[2].

وقال الطيبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «**تقوى الله**» إشارةٌ إلى حسنِ المعاملةِ مَعَ الخالِقِ، بأنْ يأتي جميعَ ما أمَر بهِ وينتهيَ عمَّا نهى عنهُ. وحسنُ الخلق إشارةٌ إلى حسنِ المعاملةِ مَعَ الخلقِ. وهاتانِ الخصلتانِ موجبتانِ لدخولِ الجنَّةِ ونقيضُهما لدخولِ النَّارِ، فأوقعَ الفمَ والفرجَ مقابلاً لهما.

أمَّا الفمُ فمشتملٌ على اللِّسانِ، وحفظهُ ملاكُ أمرِ الدينِ كلِّهِ، وأمَّا الفرجُ فَصَوْنُهُ مِنْ أعظمِ مراتبِ الدِّينِ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المعارج: ٢٩]؛ لأنَّ هذهِ الشهوةَ أغلبُ الشَّهواتِ على الإنسانِ، وأعصاها عندَ الهيجانِ على العقلِ، ومنْ تركَ الزنا خوفاً مِنَ الله تعالى، مَعَ القدرةِ وارتفاعِ الموانعِ، وتيسيرِ

(١) فوائد الفوائد (ص٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٢) سبل السلام (٤/٤٠٥).

الأسبابِ ـ لا سيَّما عندَ صدقِ الشَّهوةِ ـ وصلَ إلى درجةِ الصدِّيقينَ، قالَ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]»[١].

١٢ ـ عنْ عبدِ اللهِ بنِ خُبَيْبٍ عن عَمِّه، قالَ: كُنَّا في مَجلِسٍ؛ فجاءَ النَّبي ﷺ وعلى رأسِهِ أثرُ ماءٍ، فقال له بعضُنا: نراكَ اليومَ طيِّبَ النَّفْسِ، فقالَ: «**أَجَلْ، والْحَمدُ لله**»، ثمَّ أفاضَ القومُ في ذِكْرِ الغنى، فقالَ: «**لا بأسَ بالغِنَى لِمَنِ اتَّقَى، والصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الغِنَى، وَطِيْبُ النَّفْسِ من النَّعِيمِ**»[٢].

١٣ ـ عَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَتَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بَالرَّوْحِ والرَّحْمَةِ، والْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إلى رِضْوَانِ اللهِ إلى الجَنَّةِ**»[٣].

فإنَّ منْ سَكَنَ المسجدَ واتَّخذهُ بيتاً، وأعرضَ عَنِ الدنيا وأهلها، وأقبلَ على الآخرةِ وعملَ لها[٤]، جازَ على الصراطِ إلى رضوان الله إلى الجنَّةِ.

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة (ص٣١٢١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١٤١) واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٠١)، والحاكم (٢/ ٣) (٢١٣١)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٧٤١).

(٣) قال المنذري في «الترغيب» (١/ ٢٢٠): «رواه الطبراني في «الكبير»، والأوسط، والبزار وقال: إسناده حسن، وهو كما قال رحمه الله».

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٣٩١).

١٤ ـ عنْ أبي سعيدٍ ﵁ أنَّ رجلاً جاءَهُ فقالَ: أَوْصِنِي فقال: سألتُ عمَّا سألتَ عنه رسولَ الله ﷺ مِنْ قَبْلِكَ فقال: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهُ رأسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وتلاوةِ القرآنِ، فإنَّهُ رُوحُكَ في السَّماءِ، وذِكْرُكَ في الأَرْضِ**»(١).

قوله: «**أوصيكَ بتقوى الله**»، التقوى عامةٌ في كلِّ شيءٍ، في طاعةِ اللهِ ورسولِه، . . . في معاملتِهِ للنَّاسِ، في سفرِهِ وإقامتِهِ، في جميعِ أحوالِهِ عليْهِ أنْ يتَّقِي اللهَ، في العباداتِ، وفي الأمورِ العاديةِ، وفي المأكلِ والمشربِ والملبسِ، وفي الاجتماعِ بالنَّاسِ وفي السفرِ والإقامةِ، عليه أن يتَّقي ربَّهُ في كلِّ شيءٍ.

في ملبسهِ: لا يلبسُ إلَّا ما أحَلَّ الله.

في مأكلِهِ: لا يأكلُ ولا يشربُ إلَّا ما أحَلَّ الله.

في صحبتِهِ لإخوانِه: لا يصحبهم إلَّا بالتقوى، لا يصحبهم بالغشِّ والخيانة، بلْ يصحبهم بالإيمانِ والتقوى وأداءِ الأمانةِ وغيرِ ذلكَ.

في السَّفرِ: ليسَ لهُ أنْ يسافرَ إلى ما حرَّمَ الله، وعليهِ أنْ يتقي الله في سفرِهِ.

كما عليهِ أنْ يتقي الله في إقامتِه، وفي معاملاتِهِ وتجارتِهِ، فليسَ لهُ أنْ يعاملَ بالغشِّ والخيانةِ، ولا بالربا، ولكنْ يعاملُ بالبرِّ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٨٢) (١١٧٩٠)، والطبراني في «الصغير» (٩٤٩)، وحسّنه الألباني ﵀ في «السلسلة الصحيحة» (٥٥٥).

والصلةِ والصِّدقِ والحذرِ مِنَ الرِّياءِ، وهكذا في جميعِ الأمورِ[١].

١٥ ـ عَنْ أبي قَتَادَةَ وأبي الدَّهْمَاءِ قالا: كانا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نحوَ هذا البيتِ قالا: أَتَيْنَا على رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فقالَ البَدَوِيُّ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ الله ﷺ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ تباركَ وَتَعالَى، وقال: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً اتِّقَاءَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ إِلَّا أعطَاكَ اللهُ خَيْراً مِنْهُ**»[٢].

عنوانُ هذا الحديث «وقاعدتُه أنَّ منْ تركَ لله شيئاً عوَّضهُ اللهُ خيراً منهُ، كما تركَ يوسفُ الصدِّيقُ عليه السلام امرأَةَ العزيزِ لله، واختارَ السِّجْنَ على الفاحشةِ. فَعَوَّضَهُ اللهُ أن مَكَّنَهُ في الأرض يَتَبَوَّأُ منهَا حيثُ يشاء، وأتتهُ المرأةُ صاغرةً سائلةً راغبةً في الوصلِ الحلالِ فتزوَّجها. فتأمَّلْ كيفَ جزاهُ الله تعالى على ضيقِ السجنِ أنْ مكَّنَهُ في الأرضِ ينزلُ منها حيثُ يشاءُ، وأذلَّ لَهُ العزيزَ وامرأتَهُ، وأقرَّت المرأةُ والنِّسوةُ ببراءتِهِ. وهذهِ سُنَّتُهُ تعالى في عبادهِ قديماً وحديثاً إلى يومِ القيامةِ.

ولمَّا عقرَ سليمانُ بْنُ داودَ عليهما السلام الخيلَ التي شغلتهُ عنْ صلاةِ العصرِ حتَّى غابتِ الشمسُ؛ سخَّرَ اللهُ لهُ الريحَ يسيرُ على متنها حيثُ أرادَ.

---

(١) انظر: كتاب التقوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٧٨ و٧٩ و٣٦٣) (٢٠٧٩٥ و٢٠٨٠٢ و٢٣١٨٠)، وابن المبارك في «الزهد» (ص٤١٢)، وقال المحدِّث الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (١/ ٦٢): «وسنده صحيح على شرط مسلم».

ولمَّا تركَ المهاجرونَ ديارهم لله وأوطانهم ـ التي هي أحبُّ شيءٍ إليهم ـ أعاضهم الله أنْ فتحَ عليهم الدنيا وملَّكهم شرقَ الأرضِ وغربها.

ولو اتقى الله السارقُ وتركَ سرقةَ المالِ المعصوم لله، لآتاهُ الله مِثْلَهُ حلالاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، فأخبرَ الله تعالى أنَّهُ إذا اتقاهُ بتركِ ما لا يحلُّ لهُ رزقهُ اللهُ منْ حيثُ لا يحتسب. وكذلكَ الزاني لو تركَ ركوبَ ذلكَ الفرجِ حراماً للهِ، لأثابهُ الله بركوبهِ أو ركوبِ ما هوَ خيرٌ منهُ حلالاً»[1].

والمقصودُ «أنَّ منْ تركَ شيئاً لله أعطاهُ الله خيراً منهُ. وأجلُّ ما يعطيهِ الأنسَ باللهِ ومحبته وطمأنينة القلبِ بهِ، وقوَّتهُ ونشاطه وفرحَهُ ورضاهُ عَنْ ربِّهِ تعالى»[2].

١٦ ـ عَنِ العرباضِ بنِ ساريةَ رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ، ثمَّ أقبلَ علينا، فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرفت منها العيونُ، ووجلت منها القلوبُ، فقال قائلٌ: يا رسول الله! كأنَّ هذه موعظةُ مودِّع[3]، فماذا تعهدُ إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسَّمع والطَّاعةِ وإنْ عبداً حبشيًّا، فإنَّهُ مَنْ يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاء المهديِّين الرَّاشدينَ تمسَّكوا بها،**

(١) روضة المحبين (ص٤٤٣ ـ ٤٤٤).

(٢) الفوائد (ص١٤١).

(٣) أنصح بقراءة كتيّب «وصيَّة مودِّع»، للشيخ الفاضل حسين بن عودة العوايشة حفظه الله تعالى.

وعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[١].

قولهُ: «**موعظةُ مودِّعٍ**»، فائدةُ هذا القيدِ أنَّ المودِّعَ عندَ الوداعِ لا يتركُ شيئاً ممَّا يهمُ المودَّع ويفتقرُ إليهِ إلَّا ويوردهُ ويستقصي فيهِ[٢]. ولأنَّ موعظةَ المودِّعِ تكون موعظةً بليغةً قويةً[٣].

قوله ﷺ: «**أُوصِيكُم بتقوى الله**»، هذهِ الكلمةُ تجمعُ سعادةَ الدنيا والآخرةِ.

والتَّقوى كلمةٌ جامعةٌ منْ أجمعِ الكلماتِ الشرعيَّةِ، ومعناها: اتخاذُ وقايةٍ منْ عذابِ اللهِ، أنْ يتخذَ الإنسانُ وقايةً منْ عذابِ اللهِ، ولا يكونُ هذا إلَّا بفعْلِ الأوامرِ واجتنابِ النواهي، ولا يكونُ فعلُ الأوامرِ واجتنابُ النَّواهي إلَّا بعلمِ الأوامرِ والنَّواهي. إذاً فلا بدَّ منْ علمٍ، ولا بدَّ منْ عملٍ، فإذا اجتمعَ للإنسانِ العلمُ والعملُ، نالَ بذلكَ خشيةَ اللهِ، وحصلتْ لَهُ التَّقوى[٤].

أمَّا السَّمعُ والطاعةُ لولاةِ أمورِ المسلمينَ، ففيها سعادةُ الدنيا، وبها تنتظمُ مصالحُ العبادِ في معايشهم، وبها يستعينونَ على إظهارِ دينِهم وطاعةِ ربِّهم[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٥١).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة (ص٦٣٣).

(٣) التعليقات على الأربعين النووية (ص٦٩)، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٣١)، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

(٥) جامع العلوم والحكم (٢/ ١١٦ ـ ١١٧).

قال الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذا الحديثِ علومٌ كثيرةٌ يحتاجُ إلى علمها جميعُ المسلمينَ ولا يسعهم جهلها.

مِنْهَا: أنَّهُ أمرهم ﷺ بما أمرهم الله عزَّ وجلَّ بتقواه، ولا يعلمون بتقواه، إلَّا بالعلم. قالَ بعضُ الحكماءِ: كيف يكونُ متَّقياً منْ لا يدري ما يتقي...؟!

قلتُ: فعلى جميعِ المسلمينَ أنْ يتقوا اللهَ عزَّ وجلَّ في أداءِ فرائضِهِ واجتنابِ محارمِهِ.

ومنها: أنَّه أمرهم بالسَّمعِ والطَّاعةِ لكلِّ منْ ولي عليهم منْ عبدٍ أسودَ وغيرِ أسود، ولا تكونُ الطَّاعةُ إلَّا بالمعروفِ، لأنَّهُ أعلمهم أنَّهُ سيكونُ اختلافٌ كثيرٌ بينَ النَّاسِ، فأمرهم بلزومِ سنتهِ وسنةِ أصحابهِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ، وحَثَّهم على أنْ يتمسَّكوا بها التمسُّكَ الشديدَ مثلما يَعَضُّ الإنسانُ بأضراسهِ على الشَّيءِ، يريدُ أنْ لا يفلتَ منهُ.

فواجبٌ على كلِّ مسلم أنْ يتبعَ سننَ رسولِ اللهِ ﷺ ولا يعملوا أشياء إلَّا بسنَّتهِ وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ بعدهُ: أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. وكذا لا يخرجُ عنْ قولِ صحابتهِ رحمةُ الله عليهم فإنَّهُ يَرْشُدُ إنْ شاءَ الله.

ومنها: أنَّهُ حَذَّرهم البدعَ وأعلمهم أنَّها ضلالةٌ، فكلُّ منْ عملَ عملاً أو تكلَّمَ بكلامٍ لا يوافقُ كتابَ الله عزَّ وجلَّ ولا سنَّةَ رسولهِ ﷺ وسنَّةَ الخلفاء الراشدينَ وقول صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فهو بدعةٌ، وهو ضلالةٌ وهو مردودٌ على قائلهِ أو فاعلِه.

ومنها: أنَّ عرباضَ بنَ ساريةَ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً ذرفت منها العيونُ ووجلتْ منها القلوبُ. فميِّزوا هذا الكلامَ، لمْ يقلْ: صرخنا منْ موعظةٍ، ولا زعقنا ولا طرقنا على رؤوسنا، ولا ضربَنا على صدورنا، ولا زفنا ولا رقصنا كمَا فَعلَ كثيرٌ مِنَ الجهَّالِ، يصرخونَ عندَ المواعظِ ويزعقونَ وينغاشونَ، وهذا كلُّهُ مِنَ الشَّيطانِ يلعبُ بهم، وهذا كلُّهُ بدعةٌ وضلالةٌ.

يقالُ لمنْ فعلَ هذا: اعلمْ أنَّ النبيَّ ﷺ أصدقُ النَّاسِ موعظةً وأنصحُ النَّاسِ لأمَّتِهِ، وأرقُّ النَّاسِ قلباً، وأصحابُهُ أرقُّ النَّاسِ قلوباً وخيرُ الناسِ ممنْ جاءَ بعدهم، ولا يشكُّ في هذا عاقلٌ. ما صرخوا عندَ موعظتِه، ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنوا، ولو كانَ هذا صحيحاً لكانوا أحقَّ النَّاسِ بهذا أنْ يفعلوه بينَ يدي رسولِ الله ﷺ، ولكنه بدعةٌ وباطلٌ ومنكرٌ، فاعلمْ ذلكَ.

فتمسَّكوا ـ رحمكم الله ـ بسنَّتهِ وسنةِ الخلفاءِ مِنْ بعدِه الرَّاشدينَ المهديينَ وسائرِ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذا الحديث فوائد.

منها: حرصُ النَّبيِّ ﷺ على موعظةِ أصحابِهِ، حيثُ يأتي بالمواعظِ المؤثِّرةِ التي توجلُ منها القلوبُ وتذرفُ منها العيونُ.

ومنها: أنَّ الإنسانَ المودِّعَ الذي يريدُ أنْ يغادرَ إخوانَهُ ينبغي لهُ أنْ يعظهم موعظةً تكونُ ذكرى لهم موعظةً مؤثرةً بليغةً؛ لأنَّ المواعظَ عندَ الوداعِ لا تُنسى.

---

(١) الأربعون حديثاً (ص٣٤ ـ ٣٧)، مكتبة المعلا ـ الكويت ـ الطبعة الأولى.

ومنها: الوصيَّةُ بتقوى الله عزَّ وجلَّ، فهذهِ الوصيَّةُ هي وصيةُ الله في الأوَّلينَ والآخرينَ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

ومنها: الوصيَّةُ بالسَّمع والطَّاعةِ لولاةِ الأمورِ وقدْ أمر الله بذلكَ في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وهذا الأمرُ مشروطٌ بأنْ لا يؤمرَ بمعصيةِ الله، فإنْ أُمرَ بمعصيتهِ فلا سمعَ لهم ولا طاعة في معصيةِ الله لقولِ النبي ﷺ «**إنَّما الطاعةُ في المعروف**». ومنْ هنا نتبيَّنُ الفائدةَ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، حيثُ لمْ يعد الفعل عندَ ذكرِ طاعةِ أولياءِ الأمورِ بلْ جعلها تابعةً لطاعةِ اللهِ ورسولِه.

ومنها: حرصُ النبيِّ ﷺ على موعظةِ أصحابه كَمَا أنَّهُ حريصٌ على أنْ يعظهم أحياناً بتبليغهم الشَّرع، فهوَ أيضاً يعظهم مواعظَ ترقّقُ القلوبَ وتؤثِّرُ فيها.

ومنها: أنَّه ينبغي للواعظِ أنْ يأتي بموعظةٍ مؤثرةٍ في الأسلوبِ وكيفيةِ الإلقاءِ ولكنْ بشرطِ ألَّا يأتي بأحاديث ضعيفةٍ أو موضوعةٍ؛ لأنَّ بعضَ الوعاظِ يأتي بالأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ يزعمُ بأنَّها تفيدُ في تحريكِ القلوبِ، ولكنَّها وإنْ أفادتْ في هذا تضرُّ، فقد ثبت عنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «**من حدَّث عني بحديثٍ يرى أنَّهُ كذبٌ فهوَ أحدُ الكاذبين**»[1].

ومنها: طلبُ الوصيَّةِ منْ أصحابِ العلمِ.

ومنها: أنَّهُ لا وصيةَ أفضلَ ولا أكملَ مِنَ الوصيَّةِ بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ،

---

(١) أخرجه مسلم (١) من حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، والمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنهما.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

ومنها: الوصيةَ بالسَّمعِ والطاعةِ لولاةِ الأمورِ، وإنْ كانوا عبيداً، لقولهِ ﷺ: «**والسَّمعِ والطاعةِ وإنْ تأمر عليكم عبدٌ**»، لأنَّ السمعَ والطاعة لهم تنتفي به شرورٌ كثيرةٌ وفوضى عظيمةٌ.

ومنها: ظهورُ آيةٍ منْ آياتِ الرسولِ عليه الصَّلاةُ والسلامُ حيثُ قالَ: «**منْ يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً**»، والذينَ عاشوا مِنَ الصحابةِ رأوا اختلافاً كثيراً كما يُعْلَمُ ذلكَ مِنَ التاريخ.

ومنها: لزُوم التمسُّكِ بسنَّةِ الرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لا سيَّما عندَ الاختلافِ والتفرُّقِ، ولهذا قال: «**فعليكم بسنتي**».

ومنها: أنَّهُ ينبغي التمسُّكُ الشديدُ حتَّى يعضَّ عليها بالنَّواجذِ؛ لئلا تفلتَ مِنَ الإنسانِ.

ومنها: التحذيرُ منْ محدثاتِ الأمورِ، والمرادُ بهَا المحدثاتُ في الدِّينِ، وأمَّا ما يحدثُ في الدُّنيا فينظرُ فيه إذا كانَ فيهِ مصلحةٌ فلا تحذيرَ منهُ. أمَّا ما يحصلُ في الدِّين، فإنَّهُ يجبُ الحذرُ منهُ، لما فيهِ التفرُّقُ في دينِ اللهِ والتشتتُ، وتضييعُ الأمَّةِ بعضُها بعضاً.

ومنها: أنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وأنَّهُ ليسَ في البدعِ ما هوَ مستحسنٌ كما زعمهُ بعضُ العلماءِ، بلْ كلُّ البدعِ ضلالةٌ. فمنْ ظنَّ أنَّ بدعةً من البدع حسنةٌ، فإنها لا تخلو من أحدِ أمرينِ: إمَّا أنها ليست بدعة وظنَّها هو أنَّها بدعة، وإمَّا أنَّها ليستْ حسنةً وظنَّ هو أنَّها حسنةٌ، وأمَّا أنْ تكونَ بدعةً وحسنةً فهذا مستحيلٌ، لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[1].

---

(١) التعليقات على الأربعين النووية (ص٧٠ ـ ٧٣).

«وهو صادرٌ من أفصح الخلق وأنصح الخلق عليه الصَّلاة والسَّلام، وهو كلامٌ واضحٌ؛ كلُّ بدعةٍ مهما استحسنها مبتدعها فإنَّها ضلالةٌ، والله الموفِّقُ»[١].

١٧ ـ عن معاذ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ أولى النَّاس بي المتَّقونَ مَنْ كَانُوا وحيثُ كَانُوا**»[٢].

أي: أقربهم مني يوم القيامة وأولاهم بشفاعتي وأحقُّهم بالإفاضةِ منْ أنواعِ الخيراتِ ودفعِ المكروهاتِ المتَّقونَ، لأنَّ التَّقوى تدلُّ على نصوحِ العقيدةِ وخلوصِ النيةِ وصدقِ المحبةِ والمداومةِ على الطاعةِ. ومنْ كانْ حظُّهُ منْ هذهِ الخصالِ أوفرَ كانَ بالقربِ والولايةِ أحقَّ وأجدرَ. وهذه مَنْقَبَةٌ شريفةٌ وفضيلةٌ مُنِيفَةٌ للمتَّقين، فيا لها منْ مِنَّةٍ[٣].

١٨ ـ عنْ جابرٍ رضي الله عنه ـ في خطبةِ الوداع ـ عنْ رسولِ الله ﷺ قالَ: «.... **اتَّقُوا الله في النِّسَاءِ، فإنَّكُم أَخَذْتُمُوهُنَّ بَأَمَانَةِ اللهِ، واسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**»[٤].

قالَ النوويُّ رحمه الله: «فيهِ الحثُّ على مراعاةِ حقِّ النِّساءِ، والوصيَّةُ بهنَّ، ومعاشرتهنَّ بالمعروفِ»[٥].

١٩ ـ عَنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فقالَ: «**يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُم عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ**

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٥) (٢٢١٥١)، وابن حبان «الإحسان» (٦٤٧) وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢٠١٢).

(٣) فيض القدير (٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) بتصرف وزيادة.

(٤) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٢٥٢).

وتَعَاظُمَها بِآبَائِهَا، النَّاسُ رَجُلَانِ: رجلٌ بَرٌّ تقيٌّ كَرِيمٌ على اللهِ، وفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على اللهِ. والنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وخَلَقَ اللهُ آدَمَ من تُرَابٍ، قال اللهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]»[١].

العُبِّيَّة: الكبر والنخوة.

وقوله: «**رجلٌ تقيٌّ وفاجرٌ شقيٌّ**» معناه: أنَّ النَّاسَ رجلان: مؤمنٌ تقيٌّ وهو الخيِّرُ الفاضلُ، وإنْ لم يكنْ حسيباً في قومه، وفاجرٌ شقيٌّ فهو الدنيُّ، وإن كان في أهله شريفاً رفيعاً[٢].

وفي ذكرِ الترابِ إشارةٌ إلى نقصانهم وأنَّهم فيه سواء طف الصَّاع بالصَّاع[٣].

٢٠ ـ عن زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قال: لَا أَقُولُ لَكُم إلَّا كما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: كانَ يقولُ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ من العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ البُخْلِ، والهَرَمِ وعَذَابِ القَبْرِ. اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّها ومَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا**»[٤].

وقد اشتملَ هذا الحديثُ على الدعاءِ منهُ ﷺ بأنْ يعطي الله سبحانه نفسَهُ تقواها، وأنْ يزكِّيَها: أي يجعلَها زاكيةً[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٧٠)، وصححه العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٦٠٨).

(٢) معالم السنن (١٣٧/٤).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة (ص٣١٤٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

(٥) تحفة الذاكرين (ص٢٧٩).

وقدْ فسَّر النبيُّ ﷺ معنى تزكيةِ النَّفسِ بقولهِ: «**ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ فَإِنَّه لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ... وزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ**» فقالَ رَجُلٌ: وما تَزْكِيَةُ المَرْءِ نَفْسَهُ يا رسولَ اللهِ؟، قالَ: «**يَعْلَمُ أَنَّ الله مَعَهُ حَيْثُ ما كَانَ**»[1].

٢١ ـ عن أبي كَبْشَةَ الأَنماريِّ رضي الله عنه أنَّهُ سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيهِنَّ، وأُحدِّثُكُم حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيها إِلَّا زَادهُ اللهُ عِزّاً، ولا فَتَحَ عبدٌ بابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ بَابَ فَقْرٍ ـ أو كلمةً نحوَها ـ وأُحَدِّثُكُم حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ، قال: إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، ويَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، ويَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً ولم يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يقولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُما سَوَاءٌ، وَعبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مالاً ولَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَخْبِطُ في مَالِهِ بِغَيرِ عِلْمٍ، لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، ولا يَصِلُ فيه رَحِمَهَ، ولا يَعْلَمُ للهِ فيه حَقّاً، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ. وعَبْدٍ لم يَرْزُقه اللهُ مالاً، ولا عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مالاً لَعَمِلْتُ فيه بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٥٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٥ ـ ٩٦) (٧٢٧٥) واللفظ له، وقال العلّامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٠٤٦): «وهذا إسناد صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٠ و٢٣١) (١٨٠٧٩ و١٨٠٨٠ و١٨٠٨١ و١٨٠٨٢ و١٨٠٨٦)، والترمذي (٢٣٢٥) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٨٩٤).

فقسَّم النبيُّ ﷺ أهلَ الدنيا أربعةَ أقسام:

خيرهم مَنْ أوتَي علماً ومالاً؛ فهوَ محسنٌ إلى النَّاسِ وإلى نفسهِ بعلمهِ ومالهِ.

ويليهِ في المرتبةِ مَنْ أوتيَ علماً ولَمْ يؤتَ مالاً وإنْ كانَ أجرهما سواء، فذلكَ إنَّما كانَ بالنيةِ، وإلَّا فالمنفقُ المتصدِّقُ فوقهُ بدرجةِ الإنفاقِ والصدقةِ، والعالمُ الذي لا مالَ لهُ إنَّما ساواهُ في الأجرِ بالنيةِ الجازمةِ المقترن بها مقدورها وهوَ القولُ المجرَّد.

الثالث: منْ أوتي مالاً ولم يؤت علماً، فهذا أسوأ النَّاسِ منزلةً، لأنَّ مالهُ طريقٌ إلى هلاكهِ، فلو عدمَهُ لكانَ خيراً لهُ، فإنَّهُ أُعْطِيَ ما يتزوَّدُ بهِ إلى الجنَّةِ فجعلَه زاداً إلى النَّارِ.

الرابع: منْ لَمْ يؤتَ مالاً ولا علماً، ومنْ نيتهِ أنَّهُ لو كانَ لهُ مالٌ لعمِلَ فيهِ بمعصيةِ الله، فهذا يلي الغنيَّ الجاهلَ في المرتبةِ ويساويه في الوزرِ بنيتهِ الجازمةِ المقترن بها مقدورها وهوَ القولُ الذي لم يقدرْ على غيرهِ.

فقسَّمَ السعداءَ قسمينِ، وجعلَ العلمَ والعملَ بموجبهِ سببُ سعادتهما، وقسَّمَ الأشقياءَ قسمينِ، وجعلَ الجهلَ وما يترتبُ عليهِ سببُ شقاوتهما.

فعادت السعادةُ بجملتها إلى العلمِ وموجبهِ، والشقاوةُ بجملتها إلى الجهلِ وثمرتهِ(١).

٢٢ ـ عن أبي نَضْرَةَ رَحِمَهُ اللهُ قال: حدثني مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨).

رسولِ اللهِ ﷺ في وَسَطِ أيّامِ التَّشْرِيقِ فقال: «**يَا أَيّها النَّاسُ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، ولا لِعَجَمِيٍّ على عَرَبيٍّ، ولا لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ، ولا أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إلَّا بالتَّقوى، أَبَلَّغْتُ؟**» قالوا: بَلَّغَ رسولُ الله ﷺ[1].

٢٣ ـ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله في سِرِّ أَمْرِكَ وعَلَانِيَتِهِ، وإذا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، ولا تَسْأَلَنَّ أَحداً، شَيْئاً، وإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ، ولا تَقْبِضْ أَمَانَةً، ولا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ**»[2].

إنَّ تقوى الله جلَّ وعلا منْ أعزّ وأعظم ما يوصي به المسلمُ أخاه. وفي هذا الحديثِ وصَّى النبيُّ ﷺ أبا ذرٍّ بتقوى الله في السرِّ والعلانيةِ. «فإنَّ أكثرَ النَّاسِ يرى أنَّه يخشى الله في العلانيةِ والشهادةِ ولكنَّ الشأنَ خشيةُ الله في الغيبِ إذا غابَ عنْ أعينِ النَّاسِ»[3]. ولا يعقلُ ذلكَ إلَّا السائرونَ إلى الله، والعارفونَ بالله، ومنْ ثَمَّ لزموا التقوى، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها.

٢٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ يريدُ سَفَراً فقال: يا رسولَ الله، أَوْصِنِي! قال: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، والتَّكْبِيرِ عِنْدَ كُلِّ شَرَفٍ**»[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١) (٢٣٥٩٦) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨١) (٢١٦٥٦ و٢١٦٥٧)، وقال العلّامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨١٠ و٣١٦١): «حسن لغيره».

(٣) شرح حديث عمار بن ياسر (ص٢٥)، للعلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٥ و٣٣١ ـ ٣٣٢ و٤٤٣ و٤٧٦) (٨٢٩٣ و٨٣٦٧ و٩٧٢٢ و١٠١٦٨)، والترمذي (٣٤٤٥)، وابن ماجه (٢٧٧١)، وابن السني في «عمل =

٢٥ ـ عنْ أَنَسٍ ﷺ قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إني أُرِيدُ سَفَراً، فَزَوِّدْنِي، قالَ: «**زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى**»، قال: زِدْنِي. قال: «**وغَفَرَ ذَنْبَكَ**»، قال: زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي. قال: «**ويَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»[١].

٢٦ ـ عن ابنِ مسعودٍ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يقولُ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى**»[٢].

هذا الدعاءُ منْ أجمعِ الأدعيةِ وأنفعها. وهو يتضمَّنُ سؤالَ خيرِ الدين وخيرِ الدنيا، فإنَّ «الهدى» هو العلمُ النَّافعُ. و«التقى» العملُ الصالحُ، وتركُ ما نهى الله ورسولهُ عنهُ. وبذلكَ يصلحُ الدينُ. فإنَّ الدينَ علومٌ نافعةٌ، ومعارفُ صادقةٌ، فهي الهدى، وقيامٌ بطاعةِ الله ورسولِهِ، فهو التُّقى.

و«العفاف والغنى» يتضمَّنُ العفافَ عَنِ الخلقِ، وعدمَ تعليقِ القلبِ بهم. والغنى باللهِ وبرزقهِ، والقناعةِ بما فيهِ، وحصول ما يطمئنَّ بهِ القلبُ مِنَ الكفايةِ. وبذلكَ تتمُّ سعادةُ الحياةِ الدنيا، والراحةُ القلبية، وهي الحياةُ الطيبةُ.

= اليوم والليلة» (٥٠٢)، والحاكم (١/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦) و(٢/ ٩٨) (١٦٣٣ و٢٤٨١)، وحسّنه المحدِّث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢٧٤٠)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٢٢٣٥).

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٤٤)، والحاكم (٢/ ٩٧) (٢٤٧٧)، وقال المحدِّث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢٧٣٩): «حسن صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٩ و٤١١ و٤١٦ و٤٣٤ و٤٣٧ و٤٤٣) (٣٦٩٢ و٣٩٠٤ و٣٩٥٠ و٤١٣٥ و٤١٦٢ و٤٢٣٢)، ومسلم (٢٧٢١)، والترمذي (٣٤٨٩)، وابن ماجه (٣٨٣٢).

فمنْ رزقَ الهدى والتُّقى، والعفافَ والغنى، نالَ السَّعادتينِ، وحصلَ لهُ كلُّ مطلوبٍ، ونجا منْ كلِّ مرهوبٍ. والله أعلمُ[1].

قال الطيبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أطلقَ الهدى والتُّقى؛ ليتناول كلَّ ما ينبغي أنْ يهتدي إليه منْ أمرِ المعاشِ والمعادِ، ومكارم الأخلاقِ وكلَّ ما يجبُ أنْ يتقى منهُ مِنَ الشركِ والمعاصي ورذائل الأخلاق. وطلبُ العفافِ والغنى تخصيص بعدَ التعميمِ، وهذا أيضاً مِنَ الجوامع»[2].

فينبغي لنا أنْ نقتديَ بالرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في هذا الدعاءِ، وأن نسألَ اللهَ الهدى والتقى والعفافَ والغنى. وفي هذا دليلٌ على أنَّ النبيَّ ﷺ لا يملكُ لنفسهِ نفعاً ولا ضرًّا، وأنَّ الذي يملكُ ذلكَ هوَ اللهُ[3].

٢٧ ـ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قيلَ لرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الناسِ أَفْضَلُ؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُومِ القَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ**». قالوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ القَلْبِ؟ قال: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لا إِثْمَ فيه ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ ولا حَسَدَ**»[4].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٩٦).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة (ص١٩٢٤).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/٤٨٩) للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصححه المحدِّث الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٩٧).

انظر أيُّها المتأمِّلُ في هذهِ الألفاظِ القليلةِ المستقلّةِ بالمعاني الجمَّةِ الجليلةِ، واشهدْ لهُ أنَّهُ ﷺ أوتيَ كنوزَ الحكمةِ، وفصل الخطابِ[1].

وقد اشتمل هذا الحديثُ على المطالبِ العزيزةِ، والمقاصدِ السنيةِ.

فتقوى القلبِ مِنْ ثمراتها: نقاوةُ القلبِ ثمَّ سلامتهُ مِنَ الإثم والبغي والغلِّ والحسدِ[2].

وهذا لا يكونُ إلَّا «بتجريدِ الإخلاصِ والنُّصحِ، ومتابعَةِ السنَّةِ»[3].

عنْ زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه قالَ؛ سمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغه غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَداً: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمْرِ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ...»**[4].

قال ابن القيم رحمه الله: أَي: لَا يَحْمِلُ الْغِلَّ وَلَا يَبْقَىٰ فِيهِ مَعَ هَذِهِ الثَّلاثة، فَإِنَّهَا تَنفِي الْغِلَّ وَالْغِشَّ وَمُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ وَسَخَائِمَهُ.

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة (١/ ٤٤١).

(٢) انظر: الحث على سلامة الصدر (ص١٣) للشيخ: علي بن محمد بن سليمان الدهامي.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٤).

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٨٣) بإسنادٍ جيِّد.

فَالْمُخْلِصُ للهِ إِخْلَاصُهُ يَمْنَعُ غِلَّ قَلْبِهِ وَيُخْرِجُهُ وَيُزِيلُهُ جُمْلَةً؛ لأَنَّهُ قَدْ انصَرَفَتْ دَوَاعِي قَلْبِهِ وَإِرَادَتُهُ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَوْضِعٌ لِلْغِلِّ وَالْغِشِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فَلَمَّا أَخْلَصَ لِرَبِّهِ صَرَفَ عَنْهُ دَوَاعِيَ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ فَانصَرَفَ عَنْهُ السُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ.

وَلِهَذَا لَمَّا عَلِمَ إِبْلِيسُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلَاصِ اسْتَثْنَاهُمْ مِنْ شِرْطَتِهِ الَّتِي اشْتَرَطَهَا لِلْغِوَايَةِ وَالإِهْلَاكِ فَقَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢]. فَالإِخْلَاصُ هُوَ سَبِيلُ الْخَلَاصِ، وَالإِسْلَامُ هُوَ مَرْكِبُ السَّلَامَةِ، وَالإِيْمَانُ خَاتَمُ الأَمَانِ.

وَقَوْلُهُ: «**وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**» وَهَذَا ـ أَيْضاً ـ مُنَافٍ لِلْغِلِّ وَالْغِشِّ، فَإِنَّ النَّصِيحَةَ لَا تُجَامِعُ الْغِلَّ، إِذْ هِيَ ضِدُّهُ، فَمَنْ نَصَحَ الأَئِمَّةَ وَالأُمَّةَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْغِلِّ.

وَقَوْلُهُ: «**وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ**» هَذَا ـ أَيْضاً ـ مِمَّا يُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الْغِلِّ وَالْغِشِّ، فَإِنَّ صَاحِبَهُ ـ لِلُزُومِهِ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ـ يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لَهَا، وَيَسُوؤُهُ مَا يَسُوؤُهُمْ، وَيَسُرُّهُ مَا يَسُرُّهُمْ.

وَهَذَا بِخَلَافِ مَنِ انْحَازَ عَنْهُمْ وَاشْتَغَلَ بِالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ وَالْعَيْبِ وَالذَّمِّ لَهُمْ، كَفِعْلِ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ مُمْتَلِئَةٌ غِلًّا وَغِشّاً، وَلِهَذَا تَجِدُ الرَّافِضَةَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الإِخْلَاصِ، وَأَغَشَّهُمْ لِلأَئِمَّةِ وَالأُمَّةِ، وَأَشَدَّهُمْ بُعْداً عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ.

فَهَؤُلَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ غِلًّا وَغِشّاً بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ وَالأُمَّةِ عَلَيْهِمْ، وَشَهَادَتِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ قَطُّ إِلَّا أَعْوَاناً وَظَهْراً عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَأَيُّ عَدُوٍّ قَامَ لِلْمُسْلِمِينَ كَانُوا أَعْوَانَ ذَلِكَ الْعَدُوِّ وَبِطَانَتَهُ.

وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ شَاهَدَتْهُ الأُمَّةُ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْهُ فَقَدْ سَمِعَ مِنْهُ مَا يُصِمُّ الآذَانَ وَيُشْجِي الْقُلُوبَ.

وَقَوْلُهُ: «**فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**» هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْكَلَامِ وَأَوْجَزِهِ وَأَفْخَمِهِ مَعْنًى، شَبَّهَ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ بِالسُّوَرِ وَالسِّيَاجِ الْمُحِيطِ بِهِمْ، الْمَانِعِ مِنْ دُخُولِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ الدَّعْوَةُ الَّتِي هِيَ دَعْوَةُ الإِسْلَامِ ـ وَهُمْ دَاخِلُونَهَا ـ لَمَّا كَانَتْ سُوراً وَسِيَاجاً عَلَيْهِمْ: أَخْبَرَ أَنَّ مَنْ لَزِمَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ أَحَاطَتْ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ الَّتِي هِيَ دَعْوَةُ الإِسْلَامِ كَمَا أَحَاطَتْ بِهِمْ، فَالدَّعْوَةُ تَجْمَعُ شَمْلَ الأُمَّةِ وَتَلُمُّ شَعَثَهَا وَتُحِيطُ بِهَا، فَمَنْ دَخَلَ فِي جَمَاعَتِهَا أَحَاطَتْ بِهِ وشَمِلَتْهُ[1].

٢٨ ـ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيُّها النَّاسُ اتَّقوا الله وأجْملوا في الطَّلب، فإنَّ نفساً لنْ تموت حتَّى تستوفي رزقها، وإنْ أبطأ عنها. فاتقوا الله وأجملُوا في الطَّلب. خذوا ما حَلَّ، ودعُوا ما حَرُمَ**»[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٢ ـ ٧٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٧٤٣).

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: جمعَ النبيُّ ﷺ في قوله: «**فاتقوا الله وأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ**» بين مصالحِ الدنيا والآخرةِ: فنعيمها ولذَّاتها إنْما ينالُ بتقوى الله.

وراحةُ القلبِ والبدنِ، وتركُ الاهتمامِ والحرصِ الشديد والتعبِ والعنادِ والكدِ والشقاءِ في طلب الدنيا إنَّما ينالُ بالإجمالِ في الطَّلبِ.

فَمَنِ اتَّقى الله فازَ بلذَّة الآخرةِ ونعيمها، ومنْ أجملَ في الطَّلبِ استراحَ منْ نكدِ الدنيا وهمومها.

فاللهُ المستعانُ.

قد نادَتِ الدنيا على نفَسِها ... لو كَانَ في ذا الخَلْقِ من يَسْمَعُ
كَمْ وَاثِقٍ بالعَيْشِ أَهْلَكَتْهُ ... وجَامِعٍ فَرَّقَتْ مَا يَجْمَعُ

٢٩ ـ عنْ عامرِ بنِ سعدٍ قالَ: كانَ سعدُ بنُ أبي وَقّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إِبِلِهِ، فجاءَهُ ابنُهُ عُمَرُ، فلمّا رآهُ سَعْدٌ قال: أعوذُ باللهِ من شَرِّ هذا الرَّاكِبِ. فَنَزَلَ، فقالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ في إِبِلِكَ وغَنَمِكَ وَتَركْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ المُلْكَ بَيْنَهُم؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ في صَدْرِهِ، فقال: اسْكُتْ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ**»(١).

التقيُّ: هو الآتي بما يجبُ عليهِ، المجتنبُ لما يحرمُ عليه(٢).

الغنيُّ: المرادُ بالغني: غنيُّ النَّفسِ. هذا هو الغنى المحبوبُ لقوله ﷺ: «**ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»(٣).

وأمَّا الخفيُّ: فمعناهُ الخاملُ المنقطعُ إلى العبادةِ والاشتغالُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) سبل السلام (١٧٨/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بأمورِ نفسهِ[1]. لا يهتمُّ أنْ يظهرَ عندَ النَّاسِ، أو يشارُ إليهِ بالبنانِ، أو يتحدَّثُ النَّاسُ عنهُ[2].

قالَ الحافظُ: إنَّ المتَّصفَ بغنى النَّفسِ يكونُ قانعاً بما رزقه الله، لا يحرصُ على الازديادِ لغيرِ حاجةٍ ولا يلحُّ في الطَّلبِ ولا يلحُّ في السؤالِ، بل يرضى بما قسم الله لهُ. فكأنَّهُ واجدٌ أبداً.

والمتَّصفُ بفقرِ النَّفسِ على الضدِّ منهُ لكونهِ لا يقنعُ بما أُعطي، بلْ هوَ أبداً في طلبِ الازديادِ منْ أيِّ وجهٍ أمكنهُ، ثمَّ إذا فاتهُ المطلوبُ حزنَ وأسفَ، فكأنَّهُ فقيرٌ مِنَ المالِ لأنَّهُ لمْ يستغن بما أُعطي، فكأنَّهُ ليس بغنيٍّ.

ثمَّ غنى النَّفسِ إنَّما ينشأ عَنِ الرِّضا بقضاء الله تعالى والتَّسليمِ لأمرهِ علماً بأنَّ الذي عندَ الله خيرٌ وأبقى، فهوَ معرضٌ عَنِ الحرصِ والطلبِ، وما أحسنَ قول القائلِ:

غِنَى النَّفْسِ ما يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيئاً عَادَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرَا[3]

٣٠ ـ عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا اسْتَوَى على بَعِيرِهِ خَارِجاً إلى سَفَرٍ: كَبَّرَ ثَلَاثاً، ثُمَّ قال: «**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ومَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وإنَّا إلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُون. اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هَذا البِرَّ والتَّقْوَى، ومن العَمَلِ ما تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَينَا سَفَرَنَا هَذَا، واطْوِ عَنَّا بُعدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخَلِيفَةُ في الأَهْلِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفرِ، وكَآبَةِ**

(١) شرح مسلم (١٨/ ١٠٠ ـ ١٠٢).

(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٠٠)، للعلّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٧٢).

المَنْظَرِ، وسُوءِ المُنْقَلَبِ، في المَالِ والأَهْلِ» وإذا رَجَعَ قَالَـهُنَّ وزاد فِيْهِنَّ: «**آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنا حَامِدُونَ**»[1].

٣١ ـ عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أُهْدِيَ إلى النبيِّ ﷺ فَرُّوجُ حَرِيرٍ فَلبسَهُ فَصَلَّى فِيهِ، ثم انْصَرَفَ فَنزعَهُ نَزْعاً شَدِيداً كَالْكَارِهِ، وقال: «**لا يَنْبَغِي هَذَا لِلْمُتَّقِينَ**»[2].

قالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ: «الحريرُ فيهِ مِنَ السَّرفِ والخيلاءِ ما يبغضهُ الله، وينافي التقوى التي هي محبوبُ الله»[3].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: وإنَّما تجيءُ «لا ينبغي» في كلام الله ورسوله ﷺ للّذي هو في غاية الامتناع شرعاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحۡمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٩٢]، وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَـٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمۡ﴾ [الشعراء: ٢١٠]، وقوله عن الملائكة: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨][4].

٣٢ ـ عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ، نادى رجلاً كان في آخرِ الصُّفُوفِ، فقال: «**يا فُلَانُ ألا تَتَّقِي اللهَ، أَلَا تَنْظُرُ كَيْفَ تُصَلِّي؟ إنَّ أَحَدَكُم إذا قَام يُصَلِّي إنَّما يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيْهِ، إِنَّكُم تَرَوْنَ أَنِّي لَا أَرَاكُمْ، إِنِّي واللهِ لأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي، كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ**»[5].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥ و٥٨٠١)، ومسلم (٢٠٧٥).

(٣) الاستقامة (١/ ٤٤٤).

(٤) الداء والدواء (ص٢٠٦) تحقيق: الشيخ علي حسن عبد الحميد حفظه الله.

(٥) أخرجه ابن خزيمة (٤٧٤)، وقال العلّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه عليه: «إسناده حسن».

وقولُه ﷺ: «**إِنَّمَا يقومُ يُنَاجِي رَبَّهُ**» إشارةٌ إلى أنَّهُ ينبغي لهُ أنْ يستحيي منْ نظرِ الله إليهِ وإطِّلاعهِ عليهِ وقربهِ منهُ وهوَ قائمٌ بينَ يديهِ يناجيهِ، فلو استشعرَ هذا لأحسَن صلاتَهُ غايةَ الإحسانِ وأتقنَها غايةَ الإتقانِ كمَا قال ﷺ: «**اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»[1]. وفي القرآنِ الإشارةُ إلى هذا بقولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١][2].

٣٣ ـ عن أبي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**خَيْرُ نِسَائِكُم الوَدْودُ الوَلُودُ، المُوَاتِيَةُ، المُوَاسِيَةُ؛ إذا اتَّقَيْنَ اللهَ، وشَرُّ نِسَائِكُم المُتَبرِّجَاتُ المُتَخَيِّلَاتُ، وهُنَّ المُنَافِقَاتُ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الغُرَابِ الأَعْصَمِ**»[3].

الأعصمُ: هو أحمرُ المنقارِ والرجلينِ. وهوَ كنايةٌ عنْ قلَّةِ منْ يدخلُ الجنَّة مِنَ النِّساء، لأنَّ هذا الوصفَ في الغربانِ عزيزٌ قليلٌ.

عن عُمَارَةَ بنِ خُزَيْمَةَ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ عَمْرِو بنِ العَاصِ في حَجٍّ أو عُمْرَةٍ [فَإِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ عَلَيْهَا حَبَائِرُ لَهَا، وخَوَاتِيمُ، وقَدْ بَسَطَتْ يَدَهَا عَلى الهَوْدَجِ]، فَقَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في هَذَا الشِّعْبِ إِذْ قَالَ: «**انْظُرُوا! هَلْ تَرَوْنَ شَيْئاً؟**» فَقُلْنَا: نَرَى غرْبَانَاً فِيْهَا غُرَابٌ أَعْصَمُ

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، وحسّنه العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٤٧٤).

(٢) فتح الباري (٣/ ١٤٩)، لابن رجب الحنبلي رحمه الله.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن» (٧/ ٨٢) (١٣٤٧٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٨٤٩).

أَحْمَرُ المِنْقَارِ والرِّجْلَيْنِ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فِي الغربَانِ»**[١].

٣٤ ـ عن أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ تَزَوَّجَ فَقد اسْتَكْمَلَ نِصْف الإِيْمَانِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ في النِّصْفِ البَاقِي»**[٢].

قال الطيبيُّ رحمه الله: «وفيه إعلامٌ أنَّ التزوُّجَ سببٌ لاستكمالِ نصفِ الدينِ المرتَّبِ عليهِ تقوى الله تعالى»[٣].

ورحمَ الله منْ قالَ:

يـريـدُ الـمَـرْءُ أن يُـؤتَـى مُـنَـاهُ ... ويَـــأْبَـــى الله إلَّا مـــا أَرَادَا
يَـقُـولُ الـمَـرْءُ فَـائِـدَتِـي ومَـالِـي ... وتَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا[٤]

٣٥ ـ عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عن أبيه رضي الله عنه قالَ: **«كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أَمَّرَ أَمِيراً على جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ في خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خَيْرَاً»**[٥].

قالَ الطيبيُّ رحمه الله: «وفي اختصاصِ التَّقوى بخاصَّةِ نفسهِ والخير بمنْ معهُ مِنَ المسلمينَ، إشارةٌ إلى أنَّ عليهِ أنْ يشدِّدَ على نفسهِ فيما

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٧ و٢٠٥) (١٧٨٢٢ و١٧٨٨٠)، وأبو يعلى (٧٣٤٣) والزيادة له، والحاكم (٤/ ٦٠٢) (٨٧٨١ و٨٧٨٢)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٨٥٠).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٤٧ و٨٧٩٤)، وحسنَّه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٦١٤٨). راجع: «السلسلة الصحيحة» (٦٢٥).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة (٢٢٦٦).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ١٦٣).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٣١)، وهو حديث طويل.

يأتي ويذرُ. وأنْ يسهِّلَ على منْ معهُ مِنَ المسلمينَ، ويرفقَ بهم»[1].

٣٦ ـ عن جَابِرٍ رضي الله عنه قالَ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ يَوْمَ العِيْدِ، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الخُطْبَةِ، بِغَيْرِ أَذَانٍ ولا إِقَامَةٍ. ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئاً عَلَى بِلَالٍ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ، وحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَعَظَ النَّاسَ، وَذَكَّرَهُمْ»[2].

٣٧ ـ عنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ على يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أَتْقَى للهِ مِنْهَا، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى**»[3].

قالَ العلَّامة ابنُ عُثَيْمِينَ رحمه الله: «اليمينُ هي الحلفُ بالله عَزَّ وجلَّ أو باسمٍ منْ أسمائهِ أو صفةٍ منْ صفاتهِ، ولا يجوزُ الحلفُ بغير الله، لا بالنبيِّ ﷺ ولا بجبريلَ ولَا بأيِّ أحدٍ مِنَ الخلقِ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[4]، وقالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ**»[5].

فمنْ حَلَفَ بغير الله فهو آثمٌ ولا يمينَ عليهِ لأنَّها يمينٌ غيرُ منعقدةٍ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[6].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة (ص٢٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨٨٥)، وللحديث تتمة عنده.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٥١).

(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أخرجه البخاري (٢٦٧٩ و٣٨٣٦ و٦١٠٨ و٦٤٤٦ و٧٤٠١)، ومسلم (١٦٤٦).

(٥) أخرجه الترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٢٤١).

(٦) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولا ينبغي للإنسانِ أنْ يكثرَ مِنَ اليمينِ، فإنَّ هذا هو معنى قولِهِ تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] على رأيِ بعضِ المفسِّرينَ، قالوا: واحفظوا أيمانكم: أي لا تكثروا الحلفَ باللهِ. وإذا حلفتَ فينبغي أنْ تقيِّدَ اليمينَ بالمشيئةِ فتقولُ: واللهِ إنْ شاءَ اللهُ، لتستفيدَ بذلكَ فائدتينِ عظيمتينِ:

الفائدةُ الأولى: أن يتيسرَ لكَ ما حلفتَ عليهِ.

الفائدةُ الثانيةُ: أنَّكَ لو خالفتَ فلا كفَّارةَ عليكَ.

واليمينُ التي توجبُ الكفَّارةَ هي اليمينُ على شيءٍ مستقبل، أمَّا اليمينُ على شيءٍ ماضٍ فلا كفَّارة فيهَا، ولكنْ إنْ كانَ الحالفُ كاذباً فهوَ آثمٌ وإنْ كانَ صادقاً فلا شيءَ عليهِ.

ومثالُه لو قالَ قائلٌ: واللهِ ما فعلتُ كذا. فهنا ليسَ عليهِ كفَّارةٌ صَدَقَ أو كَذَبَ، لكنْ إنْ كانَ صادقاً أنَّهُ لمْ يفعلْهُ فهو سالمٌ مِنَ الإثمِ، وإنْ كاذباً أنَّه قدْ فعلهُ فهوَ آثمٌ.

واليمينُ التي فيها كفَّارةٌ هي اليمينُ على شيءٍ مستَقْبَلٍ فإذا حلفتَ على شيءٍ مستقْبَلٍ فقلتَ: واللهِ لا أفعلُ كذا، فهنا نقولُ: إنْ فعلتَهُ فعليكَ كفَّارةٌ، وإنْ لمْ تفعلهُ فلا كفَّارةَ عليكَ فهذهِ يمينٌ منعقدةٌ، ولكنْ هَلِ الأفضلُ أنْ أفعلَ ما حلفتُ على تركهِ أو الأفضلُ أنْ لا أفعل؟

في هذا الحديث بيَّن النبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّكَ إذا حلفتَ على يمينٍ ورأيتَ غيرهَا أتقى لله منهَا، فكفِّر عنْ يمينكَ وأْتِ الذي هو أتقى.

فإذا قالَ قائلٌ: والله لا أكلِّمُ فلاناً وهو مسلمٌ، فإنَّ الأتقى لله أنْ تكلِّمهُ لأنَّ هجرَ المسلمِ حرامٌ. فكَلِّمْهُ وكَفِّرْ عنْ يمينكَ.

ولو قلتَ: واللهِ لا أزورُ قريبي فهنا نقولُ: زيارةُ القريبِ صلةُ رحمٍ وصلةُ الرحم واجبةٌ فصِلْ قريبكَ وكَفِّرْ عنْ يمينكَ، لأنَّ النبيَّ عليهِ الصلاة والسلام يقولُ: «**فَرَأَى غَيْرَهَا خيراً مِنْها فَلْيُكَفِّر عَن يَمِينِهِ ولْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ**»[1]، وعلى هذا فَقِسْ.

الخلاصةُ أنْ نقولَ: اليمينُ على شيءٍ ماضٍ لا يبحثُ فيها عَنِ الكفَّارة، لأنَّهُ ليسَ فيهَا الكفَّارةُ، لكن إمَّا أنْ يكونَ الحالفُ سالماً أو يكونَ آثماً.

واليمينُ على المستقبلِ هيَ التي فيهَا الكفَّارةُ، فإذا حلفَ الإنسانُ على شيءٍ مستقبلٍ وخالفَ ما حلفَ عليهِ وجبتْ عليهِ الكفَّارةُ إلَّا أنْ يقرنَ يمينهُ بمشيئةِ الله فيقولُ: إنْ شاءَ الله، فهذا لا كفَّارةَ عليهِ ولو خالفَ. والله الموفِّقُ»[2].

٣٨ ـ عنْ أنسٍ رضي الله عنه قالَ: مَرَّ النبيُّ ﷺ بامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ وهِيَ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أخرجه البخاري (٣١٣٣ و٤٣٨٥ و٥٥١٨ و٦٦٢٣ و٦٦٤٩ و٦٦٨٠ و٦٧١٨ و٦٧١٩ و٦٧٢١ و٧٥٥٥)، ومسلم (١٦٤٩). ومن حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري (٦٦٢٢ و٦٧٢٢ و٧١٤٦ و٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢). وانفرد مسلم [(١٦٥٠) فما بعده] بإخراجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانفرد به (١٦٥١) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أيضاً. وأخرج البخاري (٤٦١٤ و٦٦٢١) نحوه عن أبي بكر رضي الله عنه من قوله.

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٣).

تَبْكِي فقالَ: «**اتَّقِي اللهَ، واصْبِرِي**»[1].

«وفي الحديثِ أنواعٌ مِنَ العلمِ:

أحدُها: وجوبُ الصبر على المصائبِ وأنَّه مِنَ التقوى التي أُمرَ العبدُ بها.

الثاني: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عَنِ المنكرِ، وأنَّ سُكْرَ المصيبةِ وشدَّتها لا يسقطه عَنِ الآمرِ النَّاهي.

الثالث: احتجَّ بهِ على جوازِ زيارةِ النِّساءِ للقبورِ، فإنَّه ﷺ لمْ ينكرْ عليها الزيارةَ، وإنَّما أمرها بالصبرِ ولو كانت الزيارةُ حراماً لبيَّنَ لها حكمها...

وفي عدمِ تعريفهِ لها بنفسهِ، في تلكَ الحالِ، التي لا تملكُ فيها نفسَها، شفقةً منهُ ورحمةً بها، إذا عرَّفها بنفسهِ في تلكَ الحالِ فربَّما لم تسمعْ منهُ فتهلك، وكانَت معصيتها لهُ وهي لا تعلمُ أنَّهُ رسولُ الله أخفَّ منْ معصيتها لهُ لو علمتْ. فهذا منْ كمالِ رأفته صلواتُ الله وسلامهُ عليه»[2].

٣٩ ـ عن أَبِي مُوْسَى رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقُوا اللهَ، فَإِنَّ أَخْوَنَكُمْ عِنْدَنَا مَنْ طَلَبَ العَمَلَ**»[3].

٤٠ ـ عن النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٢ و١٢٨٣ و٧١٥٤)، ومسلم (٩٢٦).

(٢) عدة الصابرين (ص١٢٢ ـ ١٢٣) طبعة دار ابن الجوزي.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٠٣).

مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ**»؟ قالَ: لَا، قَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ**». قال: فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ[1].

٤١ ـ عن سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رضي الله عنه قال: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ البَهَائِمِ المُعْجَمةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وكُلُوهَا صَالِحَةً**»[2].

٤٢ ـ عن الشَّرِيدِ رضي الله عنه قالَ: أَبْصَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً يَجُرُّ إِزَارَهُ، فَأَسْرَعَ إِلَيهِ، أَوْ هَرْوَلَ فَقَالَ: «**ارْفَعْ إِزَارَكَ واتَّقِ اللهَ**»، قَالَ: إِنِّي أَحْنَفُ تَصْطَكُّ رُكْبَتَايَ، فَقَالَ: «**ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّ كُلَّ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وجلَّ حَسَنٌ**». فما رُئِيَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بَعْدُ إِلَّا إِزَارُهُ يُصِيبُ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ أَوْ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ[3].

الحنف: إقبالُ القدمِ بأصابعها على القدمِ الأخرى[4].

٤٤ ـ عن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ ومُصِيبُونَ ومَفْتُوحٌ لَكُمْ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٦ و٢٥٨٧ و٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣) واللفظ له. وأخرجه مسلم (١٦٢٤) من حديث جابر رضي الله عنه أيضاً.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٤٨)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٢١).

(٣) أخرجه أحمد (٤/٣٩٠) (١٩٥٢٩ و١٩٥٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٤٠ و٧٢٤١)، وصححه العلّامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٤٤١).

(٤) النهاية في غريب الحديث (١/٤٥١).

فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَلْيَنْهَ عَنِ المُنْكَرِ، ومَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

٤٥ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الإمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، ويُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتقوى اللهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِك أَجْراً، وَإِنْ قَالَ بَغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**»[2].

٤٦ ـ عن ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ الكَلَامِ إلى اللهِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ وتَبَارَكَ اسْمُكَ وتَعَالَى جَدُّكَ ولَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وإِنَّ أَبْغَضَ الكَلَامِ إلى اللهِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: اتَّقِ اللهِ فَيَقُولُ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ**»[3].

٤٧ ـ عن أَنَسٍ ﵁ قالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: «**مَا يُبْكِيكِ؟**» فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ، وإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟!**»، ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقِي اللهَ يا حَفْصَةُ**»[4].

٤٨ ـ عن رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، أَنَّ الأَنْصَارِيَّ أَخْبَرَ عَطَاءً: أَنَّهُ قَبَّلَ امْرَأَتَهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ صَائِمٌ، فَأَمَرَ امْرَأَتَهُ فَسَأَلَتِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٧)، وصححه المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (١٨٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٤١).

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٩) وغيره، وصححه العلّامة المحدِّث الألباني ﵀ في «الصحيحة» (٢٥٩٨ و٢٩٣٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٩٤)، وصححه المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (٣٠٥٥).

النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ**»، فَأَخْبَرَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُرَخَّصُ لَهُ فِي أَشْيَاءَ، فَارْجِعِي إِلَيهِ فَقُولِي لَهُ، فَرَجَعَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُرَخَّصُ لَهُ فِي أَشْيَاءَ، فَقَالَ: «**أَنَا أَتْقَاكُم للهِ، وأَعْلَمُكُم بِحُدُودِ اللهِ**»[1].

٤٩ ـ عن أَبِي سَعِيدٍ الْخِدْرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهِ فِينَا، فَإِنَّما نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»[2].

قولهُ: «**تكفِّرُ اللِّسانَ**»، معناهُ: تخضعُ لهُ.

وإنَّما خضعت للسانِ؛ لأنَّهُ بريدُ القلبِ، وترجمانهُ، والواسطةُ بينهُ وبينَ الأعضاءِ.

وقولها: «**إنَّما نحنُ بكَ**»، أي: نجاتُنا بكَ، وهلاكنا بكَ، ولهذا قالتْ: فَإن استقمتَ استقمنا وإنِ اعوججت اعوججنا[3].

قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «اللِّسَانُ قَوَّامُ البَدَنِ، فَإِذَا اسْتَقَامَ اللِّسَانُ اسْتَقَامَتِ الجَوَارِحُ، وإِذَا اضْطَّرَبَ اللِّسَانُ لَمْ يَقُمْ لَهُ جَارِحَةٌ»[4].

وإذا كانت استقامةُ الأعضاءِ باستقامةِ اللِّسانِ، وجبَ صرفُ العنايةِ إليهِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٤) (٢٣٧٩٤)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧)، وحسّنه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٦٢).

(٣) فوائد الفوائد (ص٣٨٢).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٨) بسند حسن.

٥٠ ـ عنْ عَائِشَةَ ـ زوج النبي ﷺ ـ قَالَتْ: «دَخَلَتْ عَلَيَّ خُوَيْلَةُ بِنْتُ حَكِيم بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةُ، وكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: فَرَأَى رَسُولُ الله ﷺ بَذَاذَةَ هَيْئَتِها، فَقَالَ لِيْ: **«يَا عَائِشَةُ، مَا أَبَذَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ»!** قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، امْرَأَةٌ لا زَوْجَ لَهَا، يَصُومُ النَّهَارَ ويَقُومُ اللَّيْلَ، فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا، فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا وأَضَاعَتْهَا. قَالَتْ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَجَاءَهُ فَقَالَ: **«يَا عُثْمَانُ، أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي؟!»** فَقَالَ: لَا واللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، ولَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: **«فَإِنِّي أَنَامُ وأُصَلِّي، وأَصُومُ وأُفْطِرُ، وأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وأَفْطِرْ، وصَلِّ ونَمْ»**[(١)].

٥١ ـ عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: **«خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا في غَارٍ في جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عليهم صَخْرَةٌ، قال: فقال بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ... وقال الآخَرُ: اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً من بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ ما يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لا تَنَالُ ذَلِكَ منها حتى تُعْطِيَها مِئَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الخَاتَمَ إلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قال: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ»**[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٦٨) (٢٦٤١٨)، وجَوَّد إسناده العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «إرواء الغليل» (٧/ ٧٩). وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢١٥ و٢٢٧٢ و٢٣٣٣ و٣٤٦٥ و٥٩٧٤) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٣).

فهذا الرَّجل دعا امرأةً يحبُّها حبّاً جمّاً ليجامعها بالزنا ـ والعياذ بالله ـ في مكانٍ خالٍ لا يطّلعُ عليهما أحدٌ وهو فيه شهوةٌ ويحبُّ المرأةُ، لكن لمَّا قالتْ لهُ: اتقِ الله، قامَ عنهَا.

فانظرْ إلى هذا الرَّجل! المقتضي موجودٌ! لأنَّهُ قادرٌ على الجماعِ والمرأةُ منْ أحبِّ النَّاس إليهِ، والمكانُ خالٍ. لكن منعهُ مانعٌ أقوى منْ هذا المقتضي وهو خوفُ الله(١).

ففي هذا الحديثِ مِنَ الفوائدِ والعبرِ: فضيلةُ العفَّةِ عَنِ الزنى وأنَّ الإنسانَ إذا عفَّ عَنِ الزنى مَعَ قدرتهِ عليهِ فإنَّ ذلكَ منْ أفضلِ الأعمالِ. وقدْ ثبتَ عَنِ النبي ﷺ أنَّ هذا مِنَ السبعةِ الذي يظلهم الله في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: «**ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»(٢).

فهذا الرجلُ مكَّنته هذهِ المرأة التي يحبُّها منْ نفسهَا، فقامَ عنها خوفاً مِنَ الله، فحصلَ عندهُ كمالُ العفَّةِ، فيرجى أنْ يكونَ ممَّنْ يظلهم الله في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه(٣).

ورحمَ الله مَنْ قال:

لا خيرَ فيمَنْ لا يُرَاقِبُ رَبَّه ... عِنْدَ الهوى ويخافُهُ إيمانَاً
حَجَبَ التُّقَى سُبُلَ الهَوىَ فَأَخُو التُّقَى ... يَخْشَى إذا وَافَى المَعَادَ هَوَانَاً

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨)، للعلّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أخرجه البخاري (٦٦٠ و٤٢٣ و٦٤٧٩ و٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) شرح رياض الصالحين (١/ ٧١)، للعلّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

صِفَاتُ المُتَّقِينَ

١ـ قال الله جلَّ وعلا: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١ ـ ٥].

وصَفَ الله المتقينَ بالعقائدِ والأعمالِ الباطنةِ، والأعمالِ الظاهرةِ لتضمَّنِ التَّقوى لذلكَ فقالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

حقيقةُ الإيمانِ: هوَ التَّصديقُ التَّامُّ بما أخبرتْ بهِ الرسلُ، المتضمِّن لانقيادِ الجوارحِ. وليسَ الشأنُ في الإيمانِ بالأشياءِ المشاهدةِ بالحسِّ، فإنَّهُ لا يتميزُ بها المسلمُ مِنَ الكافرِ، إنَّما الشأنُ في الإيمانِ بالغيبِ، الذي لم نرهُ ولم نشاهدهُ، وإنَّما نؤمنُ بهِ، لخبرِ اللهِ وخبرِ رسولهِ. فهذا الإيمانُ الذي يميَّزُ بهِ المسلمُ مِنَ الكافرِ، لأنَّهُ تصديقٌ مجرَّدٌ لله ورسلهِ.

فالمؤمنُ يؤمنُ بكلِّ ما أخبرَ الله بهِ، أو أخبرَ بهِ رسولهُ، سواءٌ شاهدهُ، أو لمْ يشاهِدْهُ، وسواءٌ فهمهُ وعقلهُ، أو لم يَهْتَدِ إليهِ عقلُه وفهمُه؛ بخلافِ الزنادقةِ والمكذِّبينَ بالأمورِ الغيبيةِ، لأنَّ عقولهم القاصرةَ المقصِّرة لم تهتد إليها فكذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمهِ ففسدتْ

عقولهم، ومرجتْ أحلامهم. وزكتْ عقولُ المؤمنينَ المصدِّقينَ المهتدينَ بهدى الله.

ويدخلُ في الإيمانِ بالغيبِ، الإيمانُ بجميعِ ما أخبرَ الله بهِ مِنَ الغيوبِ الماضيةِ والمستقبلةِ، وأحوالِ الآخرةِ، وحقائقِ أوصافِ الله وكيفيتِها، وما أخبرتْ بهِ الرسلُ منْ ذلكَ. فيؤمنونَ بصفاتِ الله ووجودهَا، ويتيقنونها، وإنْ لم يفهموا كيفيَّتَهَا.

ثمَّ قال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لمْ يقلْ: يفعلونَ الصَّلاة، أو يأتونَ بالصَّلاةِ، لأنَّهُ لا يكفي فيها مجرَّد الإتيانِ بصورتها الظاهرةِ. فإقامةُ الصَّلاةِ، إقامتُها ظاهراً، بإتمامِ أركانها، وواجباتها، وشروطها، وإقامتُها باطناً، بإقامةِ روحهَا، وهو حضورُ القلبِ فيها، وتدبُّر ما يقولهُ ويفعلهُ منها. فهذه الصَّلاةُ هيَ التي قالَ اللهُ فيها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وهيَ التي يترتبُ عليهَا الثوابُ. فلا ثوابَ للعبدِ منْ صلاته، إلَّا ما عقلَ منها. ويدخلُ في الصَّلاةِ فرائضُهَا ونوافِلُهَا.

ثمَّ قالَ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يدخلُ فيهِ النَّفقاتُ الواجبةُ كالزَّكاةِ، والنَّفقةُ على الزوجاتِ والأقاربِ، والمماليكِ ونحو ذلكَ، والنفقاتُ المستحبة بجميعِ طرقِ الخيرِ. ولمْ يذكرِ المنفق عليهم، لكثرةِ أسبابهِ وتنوُّعِ أهلهِ، ولأنَّ النفقةَ منْ حيثُ هي، قربةٌ إلى الله. وأتى بـ «من» الدَّالَّةِ على التبعيضِ، لينبِّههم أنَّهُ لمْ يرد منهم إلَّا جزءاً يسيراً منْ أموالهم، غير ضارٍّ لهم ولا مثقل، بلْ ينتفعونَ هم بإنفاقهِ، وينتفعُ بهِ إخوانهم.

وفي قولهِ: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ هذه الأموال التي بين

أيديكم، ليستْ حاصلةً بقوَّتكم وملككم، وإنَّما هي رزقُ الله، الذي خوَّلكم، وأنعمَ بهِ عليكم. فكما أنعَم عليكم وفضَّلكم على كثيرٍ منْ عبادهِ، فاشكروه بإخراجِ بعضِ ما أنعمَ بهِ عليكم، وواسوا إخوانكم المعدمين.

وكثيراً ما يجمعُ تعالى بينَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ في القرآنِ، لأنَّ الصَّلاة مُتَضَمِّنَةٌ للإخلاصِ للمعبودِ، والزكاةُ والنفقةُ متضمِّنةٌ للإحسانِ إلى عبيده. فعنوانُ سعادةِ العبدِ، إخلاصهُ للمعبودِ، وسعيهُ في نفع الخلقِ. كما أنَّ عنوانَ شقاوةِ العبدِ، عدمُ هذينِ الأمرينِ منهُ، فلا إخلاصَ ولا إحسانَ.

ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآنُ والسنَّةُ.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

فالمتقونَ يؤمنونَ بجميعِ ما جاءَ بهِ الرسول، ولا يفرِّقونَ بينَ بعضِ ما أنزلَ إليهِ، فيؤمنونَ ببعضهِ، ولا يؤمنونَ ببعضِه، إمَّا بجحدهِ أو تأويلهِ، على غيرِ مرادِ الله ورسولهِ، كما يفعلُ ذلكَ منْ يفعلُه مِنَ المبتدعةِ، الذين يُؤَوِّلُونَ النُّصوصَ الدَّالَّةَ على خلافِ قولهم، بما حاصله عدمُ التَّصديقِ بمعناها، وإنْ صدَّقوا بلفظها، فلمْ يؤمنوا بها إيماناً حقيقياً.

وقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يشملُ الإيمانَ بجميعِ الكتبِ السابقةِ. ويتضمنُ الإيمانُ بالكتبِ، الإيمانَ بما اشتملتْ عليهِ، خصوصاً التوراة والإنجيل والزبور. وهذه خاصيَّةُ المؤمنينَ، يؤمنونَ بالكتبِ السماويةِ كلِّها، وبجميعِ الرسلِ فلا يفرِّقونَ بينَ أحدٍ منهم.

ثمَّ قال: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. و«الآخرةُ» اسمٌ لما يكونُ بعدَ الموتِ. وخصَّهُ بالذِّكرِ بعدَ العمومِ، لأنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ، أحدُ أركانِ الإيمانِ. ولأنَّهُ أعظمُ باعثٍ على الرغبةِ والرهبةِ والعملِ. و«اليقين» هو العلمُ التامُّ، الذي ليسَ فيه أدنى شكٍّ، والموجبُ للعملِ.

ثمَّ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ أي الموصوفونَ بتلكَ الصفاتِ الحميدةِ: على هدىً عظيمٍ، لأنَّ التنكيرَ للتعظيم. وأيُّ هدايةٍ أعظمُ منْ تلكَ الصِّفاتِ المذكورةِ المتضمّنةِ للعقيدةِ الصَّحيحةِ والأعمالِ المستقيمةِ؟!! وهلِ الهدايةُ في الحقيقةِ، إلَّا هدايتهم وما سواها ممَّا خالفهم، فهي ضلالة. وأتى بـ «على» في هذا الموضع، الدَّالَّةِ على الاستعلاءِ، وفي الضَّلالةِ يأتي بـ «في» كما في قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] لأنَّ صاحبَ الهدى مستعلٍ بالهدى، مرتفعٍ بهِ، وصاحبُ الضلالِ منغمسٌ فيه محتقرٌ.

ثمَّ قالَ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ والفلاحُ؛ هوَ الفوزُ بالمطلوبِ والنَّجاةُ مِنَ المرهوبِ. حصرَ الفلاحَ فيهم، لأنَّهُ لا سبيلَ إلى الفلاحِ إلَّا بسلوكِ سبيلهم، وما عدا تلك السبيل، فهي سبلُ الشَّقاءِ والهلاكِ والخسارِ، التي تفضي بسالِكهَا إلى الهلاكِ[1].

٢ ـ قال الله ﷻ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٢ ـ ٣٤٤).

حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

أخبرَ سبحانه أنَّ البرَّ هو الإيمانُ بالله وبملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ، وهذهِ هي أصولُ الإيمانِ الخمس التي لا قوامَ للإيمانِ إلَّا بها، وأنَّهُ الشرائعُ الظاهرةُ: منْ إقامةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ والنفقاتِ الواجبةِ، وأنَّهُ الأعمالُ القلبية التي هي حقائقه: مِنَ الصبرِ والوفاءِ بالعهدِ. فتناولتْ هذهِ الخصالُ جميعَ أقسامِ الدِّينِ، حقائقهُ وشرائعهُ، والأعمالَ المتعلقةَ بالجوارحِ والقلبِ، وأصولَ الإيمانِ الخمسِ. ثمَّ أخبرَ سبحانهُ عنْ هذهِ أنَّها هيَ خصالُ التَّقوى بعينها فقالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[1].

لأنَّهم تركوا المحظورَ، وفعلوا المأمورَ. ولأنَّ هذه الأمور مشتملةٌ على كلِّ خصالِ الخيرِ، تضمُّناً ولزوماً، لأنَّ الوفاءَ بالعهدِ، يدخلُ فيهِ الدينُ كلُّه. ومنْ قامَ بها، كانَ بما سواها أقوم، فهؤلاءِ الأبرارِ الصادقونَ المتَّقونَ.

٣ ـ قال الله جلَّ وعلا: ﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧].

---

(١) الرسالة التبوكية (ص١٦ ـ ١٧).

مِنْ صفاتِ المتقينَ أنَّهم «يتوسلونَ إلى ربِّهم بإيمانهم، لمغفرةِ ذنوبهم، ووقايتهم عذابَ النَّارِ، هذا مِنَ الوسائلِ التي يحبُّها الله، أنْ يتوسلَ العبدُ إلى ربِّه، بما منَّ بهِ عليهِ مِنَ الإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ، إلى تكميلِ نِعَمِ اللهِ عليهِ، بحصولِ الثوابِ الكاملِ، واندفاعِ العقابِ.

ثمَّ وصفهم [ربُّ العالمين] بأجملِ الصِّفاتِ: بالصبرِ الذي هوَ: حبسُ النُّفوس على ما يحبُّه الله، طلباً لمرضاتهِ. يصبرونَ على طاعةِ الله، ويصبرونَ عنْ معاصيهِ، ويصبرونَ على أقدارهِ المؤلمةِ.

وبالصِّدقِ بالأقوالِ والأحوالِ، وهوَ استواءُ الظاهرِ والباطنِ، وصدقُ العزيمةِ على سلوكِ الصراطِ المستقيم.

وبالقنوتِ الذي هو: دوامُ الطَّاعةِ، مَعَ مصاحبةِ الخشوع والخضوعِ.

وبالنفقاتِ في سبلِ الخيراتِ، وعلى الفقراءِ، وأهلِ الحاجاتِ.

وبالاستغفارِ، خصوصاً وقت الأسحارِ، فإنَّهم مدُّوا الصَّلاةَ إلى وقتِ السَّحرِ، فجلسوا يستغفرونَ الله تعالى»[(١)].

فلِلّهِ ما أشفاها مِنْ موعظةٍ، وما أبلغها مِنْ نصيحةٍ، لو صادفت مِن القلوبِ حياةً. فإنَّ هذه الآياتِ وأمثالها، ممَّا تذكِّرُ قلوبَ السائرينَ إلى الله، وأمَّا أهلُ البطالةِ الثكلة فليسَ عندهم من ذلك خبر[(٢)].

٤ ـ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٢) الرسالة التبوكية (ص١٥٠).

﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

أخبرَ الله تعالى: أنَّهُ أعدَّ الجنَّة للمتقينَ دونَ غيرهم.

ثمَّ ذكرَ أوصافَ المتقين. فذكرَ بذلهم للإحسانِ منْ حالةِ العسرِ واليسرِ والشدَّةِ والرخاء، ولم يحتقروا مِنَ المعروف شيئاً؛ فإنَّ مِنَ النَّاسِ منْ يبذلُ في حالِ اليسرِ والرخاءِ، ولا يبذلُ في حالِ العسرِ والشدَّةِ.

ثمَّ ذكرَ كفَّ أذاهم عَنِ النَّاس بحبسِ الغيظِ بالكظمِ، وحبسِ الانتقامِ بالعفوِ.

والعفوُ أبلغُ مِنَ الكظم، لأنَّ العفوَ تركُ المؤاخذةِ، مَعَ السماحةِ عَن المسيءِ. وهذا إنَّما يكونُ ممَّنْ تحلَّى بالأخلاقِ الجميلةِ وتخلَّى عَنِ الأخلاقِ الرذيلةِ وممَّنْ تاجرَ مَعَ الله، وعفا عنْ عبادِ الله، رحمةً بهم، وإحساناً إليهم، وكراهةً لحصولِ الشَّرِّ عليهم، وليعفوَ الله عنهُ، ويكونُ أجرهُ على ربِّه الكريم، لا على العبد الفقيرِ، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

ثمَّ ذكرَ حالَةً أعمَّ منْ غيرها، وأحسن، وأعلى، وأجلَّ، وهي الإحسانُ. فقالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ والإحسانُ نوعان: الإحسانُ في عبادةِ الخالقِ، والإحسانُ إلى المخلوق. فالإحسانُ في عبادةِ الخالقِ، فسَّرها النَّبيُّ ﷺ بقولِه: «**أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[١]. وأمَّا الإحسانُ إلى المخلوقِ، فهو إيصالُ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري (٥٠ و٤٧٧٧)، ومسلم (٩ و١٠). وانفرد بإخراجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

النَّفعِ الدينيِّ والدنيويِّ إليهم، ودفعُ الشَّرِّ الدينيِّ والدنيويِّ عنهم. فيدخلُ في ذلك، أمرهم بالمعروفِ، ونهيهم عَنِ المنكرِ، وتعليمُ جاهلهم، ووعظُ غافلهم، والنَّصيحةُ لعامَّتِهم وخاصَّتِهم، والسَّعْي في جمعِ كلمتهم، وإيصالُ الصدقاتِ والنَّفقاتِ الواجبةِ والمستحبةِ إليهم، على اختلافِ أحوالهم، وتباينِ أوصافهم. فيدخلُ في ذلكَ، بذلُ النَّدى، وكفُّ الأذى، واحتمالُ الأذى، كما وصفَ الله بهِ المتقينَ في هذهِ الآياتِ. فمنْ قامَ بهذهِ الأمورِ، فقدْ قامَ بحقِّ الله وحقِّ عبيدهِ.

ثمَّ ذكرَ حالهم بينهم وبينَ ربِّهم في ذنوبهم وأنَّها إذا صدرت منهم قابلوها بذكرِ الله والتوبةِ والاستغفارِ وتركِ الإصرارِ.

فهذا حالهم مَعَ الله وذاكَ حالهم مَعَ خلقهِ.

عن أبي بَكْرٍ ﵁ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْباً، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَّهرُ، ثُمَّ يُصَلِّي ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ**»، ثُمَّ قَرأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلى آخر الآية[١].

٥ ـ قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨، ٤٩].

خصَّ الله «المتقين» بالذِّكرِ، لأنَّهم المنتفعونَ بذلكَ، علماً وعملاً، ثمَّ فسَّرَ المتقينَ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي:

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٦ و٣٠٠٦)، وحسّنه العلّامة المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٣ و٢٤٠٤).

يخشونهُ في حالِ غيبتهم، وعدمِ مشاهدةِ النَّاسِ لهم، فمعَ المشاهدةِ أولى، فيتورَّعونَ عمَّا حرم، ويقومونَ بما ألزم.

وهمْ مِنَ الساعة خائفونَ وجلونَ، لكمالِ معرفتهم بربِّهم فجمعوا بينَ الإحسانِ والخوفِ(١).

جعلنا اللهُ وإيَّاكم مِنَ الذينَ يخشونَ ربَّهم بالغيبِ وهم مِنَ الساعةِ مشفقون.

٦ ـ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣].

فالذي جاءَ بالصِّدقِ هوَ منْ شأنُه الصِّدْقُ في قولهِ وعملهِ وحالهِ، فالصِّدقُ في هذهِ الثلاثةِ.

فالصِّدقُ في الأقوالِ استواءُ اللِّسانِ على الأقوالِ، كاستواءِ السنبلةِ على ساقها. والصِّدقُ في الأعمالِ استواءُ الأفعالِ على الأمرِ والمتابعةِ كاستواءِ الرأسِ على الجسدِ. والصِّدقُ في الأحوالِ استواءُ أعمالِ القلبِ والجوارحِ على الإخلاصِ، واستفراغُ الوسعِ، وبذلُ الطاقةِ. فبذلكَ يكونُ العبدُ مِنَ الذينَ جاؤوا بالصِّدقِ، وبحسبِ كمالِ هذهِ الأمورِ فيهِ وقيامها بهِ، تكونُ صدِّيقيَّتهُ، ولذلكَ كانَ لأبي بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ وأرضاه ذروة سنام الصِّدِّيقية، سمي الصِّدِّيق «على الإطلاقِ»، و«الصِّديق» أبلغُ مِنَ الصدوقِ، والصَّدوقُ أبلغُ مِنَ الصادقِ.

فأعلى مراتبِ الصِّدقِ مرتبةُ الصِّدِّيقيَّةِ، وهي كمالُ الانقيادِ للرسولِ ﷺ مَعَ كمالِ الإخلاصِ للمرسل(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (٢/ ٦٢٩).

٧ ـ قال الله ﷻ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ [ق: ٣١ ـ ٣٣].

أخبرَ الله تعالى عنْ تقريبِ الجنَّة مِنَ المتقينَ، وأنَّ أهلَها هُمُ الذين اتَّصفوا بهذهِ الصِّفاتِ الأربع:

إحداها: أنْ يكونَ أوّاباً، أي رَجّاعاً إلى الله منْ معصيتهِ إلى طاعتهِ، ومِنَ الغفلةِ عنهُ إلى ذكرهِ.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يُحَافِظُ على صَلَاةِ الضُّحَى إلَّا أَوَّابٌ، وهِيَ صَلَاة الأَوَّابِينَ**»[1].

ورأى زَيْدُ بنُ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَوْماً يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ في غَيْرِ هَذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**صَلَاةُ الأَوَّابِينَ حِيْنَ تَرْمَضُ**[2] **الفِصَالُ**»[3].

الثانية: أنْ يكونَ حفيظاً. والحفيظُ: هوَ المحافظُ على ما أمرَ الله بهِ، بامتثالهِ على وجهِ الإخلاصِ، والإكمالِ لهُ على أتمِّ الوجوهِ، حفيظٌ لحدودهِ[4].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (١٢٢٤)، والحاكم (١/ ٣١٤) (١١٨٢)، وحسّنه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٧٦). انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧٠٣ و١٩٩٤).

(٢) قال النووي رحمه الله: «الرمضاء؛ الرمل الذي اشتدت حرارته بالشمس. أي حين تحترق أخفاف الفصال ـ وهي الصغار من أولاد الإبل، جمع فصيل ـ من شدة حر الرمل».

(٣) أخرجه مسلم (٦٤٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٨٧).

الثالثة: قوله: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣] أي: خافهُ على وجهِ المعرفةِ بربِّهِ، والرجاءِ لرحمتهِ ولازمَ على خشيةِ الله في حالِ غيبهِ، أي مغيبهِ عنْ أعينِ النَّاسِ، وهذهِ هيَ الخشيةُ الحقيقيةُ.

وأمَّا خشيتهُ في حالِ نظرِ النَّاسِ وحضورهم، فقدْ تكونُ رياءً وسُمْعةً، فلا تدلُّ على الخشيةِ، وإنَّما الخشيةُ النَّافعةُ، خشيتهُ في الغيبِ والشهادةِ.

الرابعة: قوله: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] وحقيقة الإنابةِ عكوفُ القلبِ على طاعةِ الله ومحبَّته والإقبالِ عليهِ[1].

قالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولمَّا كانتِ النَّفسُ لها قوَّتان: قوَّةُ الطلبِ وقوَّةُ الإمساكِ، كانَ الأوَّابُ مستعملاً لقوَّةِ الطلبِ في رجوعهِ إلى الله ومرضاتهِ وطاعتهِ، والحفيظُ مستعملاً لقوَّةِ الحفظِ في الإمساكِ عنْ معاصيهِ ونواهيهِ؛ فالحفيظُ: الممسكُ نفسهُ عمَّا حرمَ عليهِ، والأوَّابُ: المقبلُ على الله بطاعتهِ».

٨ ـ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

منْ صفاتِ المتقينَ الإحسانُ: وهذا شاملٌ لإحسانهم بعبادةِ ربِّهم، أنْ يعبدوه كأنَّهم يرونَهُ، فإنْ لم يكونوا يرونَهُ، فإنَّهُ يراهم. وللإحسانِ إلى عبادِ الله ببذلِ النَّفعِ، والإحسانِ منْ مالٍ، أو علمٍ،

---

(١) الفوائد (ص٣٠).

أو جاهٍ، أو نصيحةٍ، أو أمرٍ بمعروفٍ، أو نَهْيٍ عنْ منكرٍ، أو غيرِ ذلكَ منْ وجوهِ البرِّ، وطرقِ الخيراتِ. حتَّى إنَّهُ يدخلُ في ذلك، الإحسانُ بالقولِ والكلامِ اللينِ، والإحسانُ إلى المماليكِ والبهائمِ المملوكةِ، وغيرِ المملوكةِ. ومنْ أفضلِ أنواعِ الإحسانِ في عبادةِ الخالقِ، صلاةُ الليلِ، الدَّالةِ على الإخلاصِ، وتواطؤ القلبِ واللِّسانِ.

ولهذا كانَ نومُ المحسنينَ بالليلِ قليلاً. وأمَّا أكثرُ اللَّيلِ فإنَّهم قانتونَ لربهم، ما بينَ صلاةٍ، وقراءةٍ، وذكرٍ، ودعاءٍ، وتضرُّعٍ[١].

ولا شكَّ أنَّ هذا وصفٌ للمتقينَ بأنَّهم عاملونَ مخلصونَ، فالليلُ وإنْ كانَ وقتَ راحةٍ ونومٍ فهمْ لا يهجعونَ فيهِ إلَّا قليلاً، ويكابدونَ العبادةَ في أوقاتِ الراحةِ والبعدِ عَنِ النَّاسِ وعندَ سكونِ النَّفسِ وعدمِ اشتغالها بالدنيا. فمدُّوا صلاتهم إلى السَّحَرِ، ثمَّ جلسوا في خاتمةِ قيامهم بالليل، يستغفرونَ الله تعالى استغفارَ المذنبِ لذنبهِ[٢].

أليسَ هذا هو وصفُ المؤمنِ التَّقيِّ؛ دائماً يخشى الله ويعملُ لهُ، ويحاسبُ نفسهُ، ثمَّ يستغفرُ الله بالأسحارِ بعدَ ذلكَ؟!

وللاستغفار بالأسحار، فضيلة وخصيصة، ليست لغيره[٣].

ثمَّ أخبرَ سبحانه عنْ إحسانهم إلى الخلقِ مَعَ إخلاصهم إليهم. فجمعَ لهم بينَ الإخلاصِ والإحسانِ، ضدَّ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٦ ـ ٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٩٣ ـ ٩٤) بتصرف يسير.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٩٤)

(٣) المصدر السابق.

وآكدُ إخلاصهم في هذا الإحسانِ مصرفهُ للسائلِ والمحرومِ، الذي لا يقصدُ بإعطائهِ الجزاءَ منهُ ولا الشكور. والمحروم والمتعففُ الذي لا يسأل[1].

٩ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢١].

هذا المتقي المحسنُ لا يفعلُ ذلكَ إلَّا ابتغاءَ وجهِ ربِّه، فهو مخلصٌ في تقواه وإحسانهِ.

وفي الآيةِ الإرشادُ إلى أنَّ صاحبَ التقوى لا ينبغي له أنْ يتحمَّلَ مِنَ الخلقِ ونعمهم، وإنْ حملَ منهم شيئاً بادرَ إلى جزائهم عليهِ، لئلا يتبقى لأحدٍ مِنَ الخلق عليهِ نعمة تجزى، فيكون بعدَ ذلكَ عملهُ كلُّه لله وحدهُ، ليس للمخلوقِ جزاءٌ على نعمتهِ. بخلافِ مَنْ تطوَّق نِعَمَ المخلوقينَ ومننهم، فإنَّهُ مضطرٌ إلى أنْ يفعلَ لأجلهم، ويتركَ لأجلهم.

ولهذا كانَ منْ كمالِ الإخلاصِ أنْ لا يجعل العبدُ عليهِ منَّةً لأحدٍ مِنَ النَّاسِ، لتكونَ معاملتهُ كلُّها لله ابتغاءَ وجههِ، وطلبِ مرضاتهِ.

وكما أنَّ هذه الغاية أعلى الغاياتِ وهذا المطلوبُ أشرفُ المطالبِ. فهذا الطريقُ أقصدُ الطرقِ إليهِ، وأقربهَا وأقومُها. وبالله التوفيق[2].

فإنْ شئتَ وصلَ القومِ فاسلكْ طريقهم   فقد وضحت للسالكينَ عياناً[3]

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص١٨٥).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص٤٦ ـ ٤٧).

(٣) الرسالة التبوكية (ص١٣٧).

مكانُ التقوى

اعلمْ أنَّ العبدَ إنَّما يقطعُ منازلَ السيرِ إلى الله بقلبِه وهمَّته لا ببدنهِ. والتقوى في الحقيقةِ تقوى القلوبِ، لا تقوى الجوارحِ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]، وقال: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧][(١)].

ولقدْ أوضح النبيُّ ﷺ أنَّ هذه السجيةَ العظيمةَ موطنها القلب.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**التَّقْوَى هَا هُنَا**» ويُشِيْرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ[(٢)].

وعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ فيما رَوَى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «... **يَا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُم وآخِرَكُم وإِنْسَكُم وجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أَتْقى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمُ، مَا زَادَ ذَلِكَ في مُلْكِيَ شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُم وجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً...**»[(٣)].

---

(١) الفوائد (ص١٨٦).

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٧ و٣٦٠) (٧٧١٣ و٨٧٠٧)، ومسلم (٢٥٦٤)، والترمذي (١٩٢٧).

(٣) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٥/ ١٥٤ و١٦٠ و١٧٧) (٢١٤٤٧ و٢١٤٤٨ و٢١٥٠٠ و٢١٦٢٣)، ومسلم (٢٥٧٧) واللفظ له، والترمذي (٢٤٩٥).

وفي هذا الكلام دليلٌ على أنَّ الأصلَ في التَّقوى والفجورِ هي القلوبُ، فإذا برَّ القلبُ واتقَّى برَّتِ الجوارحُ، وإذا فجرَ القلبُ فجرتِ الجوارحُ[1].

وإذا كانَ أصلُ التقوى في القلوبِ فلا يطَّلع أحدٌ على حقيقتها إلَّا الله تعالى، كما قال ﷺ: **«إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُم وأَمْوالِكُم، ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُم وأَعْمَالِكُم»**[2].

وحينئذٍ فقدْ يكونُ كثيرٌ ممَّن لهُ صورةٌ حسنةٌ أو مالٌ أو جاهٌ أو رياسةٌ في الدنيا قلبهُ خرباً مِنَ التقوى، ويكونُ منْ ليسَ لهُ شيءٌ منْ ذلكَ قلبه مملوءاً مِنَ التقوى، فيكونُ أكرمَ عندَ الله تعالى، بلْ ذلكَ هوَ الأكثرُ وقوعاً[3].

لذا كانَ لزاماً على كلِّ مسلمٍ أنْ يصلحَ قلبهُ، وقالبهُ ويتجنبَ كلَّ ما يضرُّه منْ أسبابِ العصيانِ، وأنْ يديمَ ذكرَ الله وشكرهُ ويلزمَ الطاعةَ، وأنْ يسألَ الله الثباتَ على الحقِّ؛ فإنَّ القلوبَ بينَ أَصبعينِ منْ أصابعِ الرحمٰن يقلِّبها كيفَ يشاءُ.

فالقلوبُ مصدرُ كلِّ خيرٍ وشرٍّ، فنسألُ الله تعالى أنْ يصلحَ قلوبنا، ويغفرَ ذنوبنا، ويسترَ عيوبنا، إنَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[4].

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص٢١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ و٥٣٩) (٧٨١٤ و١٠٩٧٣)، ومسلم (٢٥٦٤)، وابن ماجه (٤١٤٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٧٦).

(٤) شجرة المعارف (ص٤٤).

خَصْلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ خِصَالِ التَّقْوَى

عن مُعَاذٍ ﷺ قالَ: قالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[1].

قوله ﷺ: «**وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٌ حَسَنٍ**» هذا منْ خصالِ التقوى، ولا تتمُّ التقوى إلَّا به، وإنَّما أفردهُ بالذِّكرِ للحاجةِ إلى بيانه، فإنَّ كثيراً مِنَ النَّاسِ يظنُّ أنَّ التقوى هي القيامُ بحقِّ الله دونَ حقوقِ عبادهِ، فَنَصَّ لهُ على الأمرِ بإحسانِ العشرةِ للنَّاسِ، فإنَّهُ كانَ قدْ بعثهُ إلى اليمنِ معلِّماً لهم ومفقِّهاً وقاضياً، ومنْ كانَ كذلكَ، فإنَّهُ يحتاجُ إلى مخالقةِ النَّاسِ بخلقٍ حسنٍ ما لا يحتاجُ إليهِ غيرهُ ممَّنْ لا حاجةَ للنَّاسِ بهِ ولا يخالطهم، وكثيراً ما يغلبُ على من يعتني بالقيام بحقوقِ الله، والانعكاف على محبَّتهِ، وخشيتهِ وطاعتهِ إهمالُ حقوقِ العبادِ بالكليَّةِ أو التقصيرِ فيها، والجمعُ بينَ القيامِ بحقوقِ الله وحقوقِ عبادهِ عزيزٌ جداً لا يقوى عليهِ إلَّا الكمَّلُ مِنَ الأنبياء والصدِّيقين.

وقدْ عدَّ الله في كتابهِ مخالقةَ النَّاسِ بخلقٍ حسنٍ منْ خصالِ

(١) سبق تخريجه (ص٣٤).

التقوى، بل بدأ بذلك في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤].

وليتدبَّرِ القارئُ اللبيبُ الأحاديثَ التاليةَ:

١ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً**»(١).

دلَّ هذا الحديثُ «على أنَّ حسنَ الخلقِ إيمانٌ وعدمهُ نقصانُ إيمانٍ، وأنَّ المؤمنين يتفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكملُ إيماناً منْ بعضٍ. ومنْ ثمَّ كانَ المصطفى ﷺ أحسنَ النَّاسِ خلقاً لكونه أكملهم إيماناً»(٢).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: هذا الحديثُ ينبغي أنْ يكونَ دائماً نصب عيني المؤمنِ؛ فأكمل المؤمنينَ إيماناً أحسنهم خلقاً مَعَ الله ومَعَ عبادِ الله.

ـ أمَّا حسنُ الخلقِ معَ الله؛ فأن تُتلقَّى أوامرهُ بالقبولِ والإذعانِ والانشراحِ وعدمِ المللِ والضجرِ، وأنْ تُتلقَّى أحكامهُ الكونية بالصبر والرضى وما أشبه ذلك.

ـ أمَّا حسنُ الخلقِ مَعَ الخَلْق؛ فقيل: هو بذلُ النَّدى، وكفُّ الأذى، وطلاقةُ الوجه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، وقال المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣٩١٦): «حسن صحيح».

(٢) فيض القدير (٢/ ٩٧).

بذل النَّدى؛ يعني: الكرم، وليس خاصّاً بالمال، بل بالمال والجاه والنفس، وكلُّ هذا منْ بذلِ النَّدى.

وطلاقةُ الوجهِ ضده العبوس.

وكذلك كفُّ الأذى بأنْ لا يؤذي أحداً لا بالقولِ ولا بالفعلِ[1].

٢ ـ عن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**»[2].

أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ صاحبَ الخلقِ الحسنِ يبلغُ بخلقهِ درجةَ الصائمِ القائمِ، لئلا يشتغلَ المريدُ للتقوى عنْ حسنِ الخلقِ بالصَّومِ والصَّلاةِ ويظنُّ أنَّ ذلك يقطعهُ عنْ فضلهما[3].

٣ ـ عنْ أبي الدَّرْدَاءِ ﵁ قالَ: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي المِيْزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ والصَّلَاةِ**»[4].

٤ ـ عن جَابِرٍ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسَاً يَوْمَ القِيامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقَاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ**

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨)، وصححه المحدّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣)، وصحّحه العلّامة المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (١٦٢٩).

إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلساً يَوْمَ القِيَامَة الثَّرْثَارُونَ والمُتَشَدِّقُونَ والمُتَفَيْهِقُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله قد علمنَا الثَّرثَارُونَ المُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**المُتَكَبِّرُونَ**»[1].

الثرثارُ: هوَ كثيرُ الكلامِ بغيرِ فائدةٍ دينيةٍ، والمتشدِّقُ: المتكلِّمُ بملءِ فيهِ تفاصحاً وتعاظماً وتطاولاً، وإظهاراً لفضلهِ على غيرهِ، وأصلهُ مِنَ الفهقِ، وهوَ الامتلاء[2].

ورحمَ الله منْ قالَ:

سَيَبْلَى لِسَانٌ كَانَ يَعْرِبُ لَفْظَهُ ... فيَا لَيْتَه مِنْ وَقْفَةِ العَرْضِ يَسْلَمُ

ومَا تَنْفَعُ الآدَابُ إِنْ لَمْ يَكُن تُقَى ... ومَا ضَرَّ ذَا تَقْوَى لِسَانٌ مُعَجَّمُ[3]

٥ ـ عن أَبِي أُمَامَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِنْ كَانَ مَازِحَاً، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**»[4].

فجعلَ البيتَ العلويَّ جزاءً لأعلى المقاماتِ الثلاثةِ وهيَ حسنُ الخلقِ، والأوسطَ لأوسطهَا وهوَ تركُ الكذبِ، والأدنى لأدناهَا وهوَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وصحّحه العلّامة المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (١٦٤٢).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (٢/ ٦٥٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسّنه العلّامة المحدِّث الألباني ﵀ في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٥). انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٧٣).

تركُ المماراةِ وإنْ كانَ معهُ حقٌّ، ولا ريبَ أنَّ حسنَ الخلقِ مشتملٌ على هذا كلِّه[1].

٦ ـ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ خِيَارَكُم أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً**»[2].

٧ ـ عنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، ما يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَهُ أَنَاسٌ فَقَالُوا: مَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إلى اللهِ؟ قَالَ: «**أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً**»[3].

قال المُنَاويُّ رحمه الله: «معنى حسن الخلقِ بذلُ المعروفِ وكفُّ الأذى وطلاقةُ الوجهِ والتواضع. وقد تضمَّنَ هذا الخبرُ عظيمَ الحثِّ عليهِ حيثُ علَّقَ بهِ حكمَ الأحبيَّة إليهِ فحق كل مسلمٍ أنْ يرغَب في ذلكَ كمالَ الرغبة»[4].

٨ ـ عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ إذا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ وصِدْقُ حَدِيثٍ وحُسْنُ خَلِيقَةٍ وعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**»[5].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (٢/ ٦٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٩) و(٣٧٥٩) و(٦٠٢٩) و(٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٧١)، وابن حبان (٤٨٦ و٦٠٦١)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٢).

(٤) فيض القدير (١/ ١٧٤).

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧) (٦٦٥٢) واللفظ له، والحاكم (٤/ ٣١٤) (٧٨٧٦)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧١٨ و٢٩٢٩). وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧٣٣).

٩ ـ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأنصاريِّ ﷺ قال: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن البرِّ والإثْم؟ فقالَ: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ مَا حَاكَ في صَدْرِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيهِ النَّاس**»[١].

فقابلَ البرَّ بالإثم، وأخبرَ أنَّ البرَّ حسنُ الخلق، والإثمُ حواز الصُّدور، وهذا يدلُّ على أنَّ حسنَ الخلق هو الدينُ كلُّه، وهو حقائقُ الإيمانِ، وشرائعُ الإسلامِ، ولهذا قابلهُ بالإثمِ[٢].

١٠ ـ عن عبد الله بن عمرو أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَرادَ سَفَراً فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! أَوْصِنِي. قال «**اعْبُدِ اللهِ ولَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً**» قال: يا رَسُولَ اللهِ! زِدْنِي. قَالَ: «**إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ**». قال: يا رَسُولَ اللهِ! زِدْنِي. قال: «**اسْتَقِمْ، وَلْتُحَسِّنْ خُلُقَكَ**»[٣].

١١ ـ عنْ أَنَسٍ ﷺ قال: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ** [فِي المِيْزَانِ] **مِنْ غَيْرِهِمَا**؟ قَالَ: بَلَى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**عَلَيكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ، وطُوْلِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بَيَدِهِ، مَا تَجَمَّلَ الخَلَائِقُ بِمثْلِهِمَا**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (٢/ ٦٥٧).

(٣) أخرجه ابن حبان (٥٢٤)، والحاكم (٤/ ٢٤٤) (٧٦١٦) واللفظ له، وحسّنه العلّامة المحدِّث الألباني ﷺ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٤ و٣١٥٨).

(٤) أخرجه أبو يعلى (٣٢٩٨) واللفظ له، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٠٣)، وحسّنه المحدِّث الألباني ﷺ في «السلسلة الصحيحة» (١٩٣٨).

١٢ ـ عن أَنَسٍ ﵁ قالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً»[(١)].

١٣ ـ قَالَتْ عائشة ﵂: «إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كَانَ القُرْآنُ»[(٢)].

قال النوويُّ ﵀: «معناه: العملُ بهِ، والوقوفُ عندَ حدودهِ، والتأدبُ بآدابهِ، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره وحسن تلاوته»[(٣)].

وقال ابنُ كثيرٍ ﵀: «ومعنى هذا أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ صارَ امتثالُ القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي. فمهما أمرهُ القرآنُ فعله، ومهما نهاه عنه تركه»[(٤)]، وهذا أحسنُ الأخلاقِ وأشرفُهَا وأجملُهَا[(٥)]. هذا مع ما جبلهُ الله عليهِ مِنَ الخلقِ العظيم مَنَ الحياءِ والكرمِ والشجاعةِ والصفحِ والحلمِ، وكلِّ خلقٍ جميلٍ[(٦)].

وفي ختامِ هذا الفصلِ أوصيك أخي المسلم بالإكثار مِنَ الأدعيةِ التالية:

أ ـ [اللَّهُمَّ] اهْدِنِي لأحسنِ الأَخْلَاقِ؛ لا يَهْدِي لأَحْسَنِها إلَّا أَنْتَ، واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَها، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩ و٢١٥٠ و٢٣١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٧).

(٥) جامع العلوم والحكم (٢/ ٩٩).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٧).

(٧) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب ﵁.

ب ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخلاقِ والأَعْمَالِ والأَهْوَاءِ[1].

ج ـ اللَّهُمَّ كَما أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي[2].



(1) أخرجه الترمذي (٣٥٩١) من حديث عم زياد بن عِلَاقَةَ رضي الله عنه، وصحّحه العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٨٤٠).

(2) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣) (٣٨٢٣)، وأبو يعلى (٥١٨١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسِنْ خُلُقِي». وأخرجه أبو يعلى (٥٠٧٥)، وابن حبان (٩٥٩) من حديث ابن مسعود بلفظ: «اللهم حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّن خُلُقِي». وأخرجه الطيالسي (٣٧٤) من حديث ابن مسعود بلفظ الكتاب المذكور. وأخرجه أحمد (٦/ ٦٨ و١٥٥) (٢٤٥٠٣ و٢٥٣٣٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه المحدث الألباني رحمه الله في «إرواء الغليل» (١/ ١١٥).

ما يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ

لقد بيَّن المصطفى ﷺ أموراً حَرِيٌّ بالمسلمِ الموفَّقِ أنْ يتقيها ويجتنبها ويحذرها غايةَ الحذرِ ومنها:

➢ أولاً: اتقاء النار:

عن عديٍّ بنِ حاتمٍ رضي الله عنه: عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، وأَشَاحَ بِوَجْهِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[(1)].

قال العلّامَة السَّعْدِيُّ رحمه الله: «وفي هذا الحديثِ: أنَّ منْ أعظم المنجياتِ مِنَ النَّارِ، الإحسان إلى الخلقِ بالمالِ والأقوالِ، وأنَّ العبدَ لا ينبغي لهُ أن يحتقرَ مِنَ المعروفِ ولو شيئاً قليلاً.

والكلمةُ الطيبةُ تشملُ النصيحةَ للخلقِ بتعليمهم ما يجهلونَ، وإرشادهم إلى مصالحهم الدينيةِ والدنيويةِ. وتشملُ الكلَام المسرَّ للقلوبِ، الشارحَ للصُّدورِ، المقارنَ للبشاشةِ والبشرِ. وتشملُ الذكرَ لله والثناءَ عليه، وذكرَ أحكامهِ وشرائعهِ.

---

(1) أخرجه البخاري (١٤١٣ و١٤١٧ و٣٥٩٥ و٦٠٢٣ و٦٥٣٩ و٦٥٤٠ و٦٥٦٣ و٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) واللفظ له.

فكلُّ كلامٍ يقرِّبُ إلى الله ويحصلُ بهِ النَّفعُ لعبادِ الله، فهوَ داخلٌ في الكلمةِ الطيبة. قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]»[١].

➢ ثانياً: اتقاء الشبهات:

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ وإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبْينَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرتَعَ فِيهِ، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ. أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»**[٢].

فقدْ دلَّ هذا الحديثُ على أنَّ أكلَ الحلالِ، يصلحُ القلبَ، وأكلَ الحرامِ والشبهةِ يفسدهُ. ويخافُ على آكلِ الحرامِ والمتشابهِ، ألَّا يقبل لهُ عملٌ، ولَا تسمعُ لهُ دعوةٌ. ألا تسمعُ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وآكلُ الحرامِ، المسترسلُ في الشُّبهاتِ ليس بمتقٍ على الإطلاقِ. وقدْ عضد ذلكَ قوله ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً، وَإِنَّ الله أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ [المؤمنون: ٥١] **وقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢ و٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) واللفظ له.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]. **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّيَ بِالحَرامِ، فَأَنَّى يُسْتَجاب لِذَلِكَ؟»**[1].

عندَ هذا يعلمُ الواحدُ منَّا قدرَ المصيبةِ التي هوَ فِيها، وعظمَ المحنةِ التي ابتليَ بها؛ إذِ المكاسبُ في هذهِ الأوقاتِ قدْ فسدتْ، وأنواعُ الحرامِ والشُّبهات قد عمتْ، فلا يكادُ أحدٌ منَّا اليومَ يتوصَّلُ إلى الحلالِ، ولا ينفكُّ عَنِ الشُّبهَاتِ. فإنَّ الواحدَ منَّا ـ وإن اجتهدَ فيما يعملهُ ـ فكيفَ يعملُ فيمنْ يعاملهُ، مَعَ استرسالِ النَّاسِ في المحرَّماتِ والشُّبهاتِ، وقلَّة منْ يتقى ذلكَ منْ جميعِ الأصنافِ، والطبقاتِ، مَعَ ضرورةِ المخالطةِ، والاحتياجِ للمعاملةِ. وعلى هذا: فالخلاصُ بعيدٌ، والأمرُ شديدٌ، ولولا النَّهيُّ عَن القنوطِ واليأسِ، لكانَ ذلكَ الأولى بأمثالنا مِنَ النَّاس. لكنَّا إذا دفعنا عنْ أنفسنا أصولَ المحرَّماتِ، واجتهدنا في تركِ ما يمكننا مِنَ الشُّبهات، فعفو الله تعالى مأمولٌ، وكرمهُ مرجوٌ، فلا ملجأ إلَّا هو، ولا مفزعَ إلَّا إليه، ولا استعانَة إلَّا بهِ، ولا حولَ ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم[2].

➢ ثالثاً: اتقاء الرياء:

عن أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المفهم (٤/٤٩٧ ـ ٤٩٨).

يَوم فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرك، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِن دَبِيبِ النَّمْلِ**». فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وكَيْفَ نَتَّقِيهِ وهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ**»[1].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «الشِّرْكُ فِي هٰذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، وهذا مقامٌ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ التدبُّرُ فِيهِ»[2].

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «فما يحتاجُ العبدُ إلى الاستغفارِ منهُ ممَّا لا يعلمهُ أضعاف أضعاف ما يعلمه»[3].

➢ رابعاً: اتقاء دعوة المظلوم:

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى اليَمَنِ فَقَالَ: «... **اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[4].

➢ خامساً: اتِّقَاءُ المَحَارِمِ:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟**» فَقَالَ أَبُو

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠٣) (١٩٦٦١)، وقال العلّامة المحدِّث الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب» (٣٦): «حسن لغيره».

(٢) الاستقامة (١/٣٤٤).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٢٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٩٦ و٢٤٤٨ و٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

هُرَيْرَةَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَعَدَّ خَمْساً وقَال: «**اتَّقِ المَحَارِمْ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وأَحِبَّ لِلنَّاس مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً، ولَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ، تُمِيتُ القَلْبَ**»(1).

أي احذر الوقوع في جميعِ ما حرَّمَ الله عليكَ تكنْ أعبدَ النَّاسِ. وأنَّهُ يلزمُ منْ تركِ المحارمِ فعل الفرائض. فباتقاءِ المحارمِ تبقى الصحيفةُ نقيةً من التبعاتِ. فالقليلُ مِنَ التطوعِ مَعَ ذلكَ ينمو وتعظمُ بركتهُ فيصير ذلكَ المتقي منْ أكابرِ العباد(2).

واتَّقِ اللهَ فتقوى الله ما جَاوَرَت قَلْبَ امرِئٍ إِلَّا وَصَلَ
ليسَ من يقطعُ طُرُقاً بَطلاً إِنَّما مَنْ يَتَّقِ اللهَ البَطَلُ

➢ **سادساً: اتقاء الظلم:**

عن جَابِرٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(3).

قال العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رحمه الله: «هذا الحديثُ فيه التحذيرُ مِنَ الظُّلمِ، والحَثُّ على ضِدِّه، وهو العدلُ. والشريعةُ كلُّها عدلٌ، آمرةٌ بالعدلِ، ناهيةٌ عَنِ الظلم. قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾

---

(1) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وحسّنه العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٨٧٦). وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٣٠).

(2) فيض القدير (١/ ١٢٤).

(3) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٣) (١٤٥٠٣)، ومسلم (٢٥٧٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٣)، واللفظ لهما، وللحديث تتمة. راجع: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٥٨).

[الأعراف: ٢٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]. فإنَّ الإيمانَ أصولهُ وفروعهُ، باطنهُ وظاهرهُ، كلُّه عدلٌ، وضدُّهُ ظلمٌ. فأعدلُ العدلِ وأصلهُ: الاعترافُ وإخلاصُ التوحيدِ لله، والإيمانُ بصفاتهِ وأسمائهِ الحسنى، وإخلاصُ الدِّينِ والعبادةِ لهُ، وأعظمُ الظُّلم، وأشدُّهُ الشركُ بالله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وذلكَ أنَّ العدلَ وضعُ الشيءِ في موضعهِ، والقيامُ بالحقوقِ الواجبةِ، والظُّلمُ عكسهُ. فأعظمُ الحقوقِ، وأوجبهَا: حقُّ الله على عبادهِ: أنْ يعرفوه ويعبدوهُ، ولا يشركوا بهِ شيئاً ثمَّ القيامُ بأصولِ الإيمانِ، وشرائعِ الإسلامِ منْ إقامِ الصلاةِ وإيتاء الزكاة وصيامِ رمضانِ، وحجِّ البيتِ الحرامِ، والجهادِ في سبيل اللهِ قولاً وفعلاً، والتَّواصي بالحقِّ، والتَّواصي بالصبرِ.

ومِنَ الظُّلْمِ: الإخلالُ بشيءٍ منْ ذلكَ، كما أنَّ مِنَ العدلِ: القيامُ بحقوقِ النبي ﷺ مِنَ الإيمانِ بهِ ومحبتهِ، وتقديمهَا على محبَّةِ الخلقِ كلِّهم، وطاعتهِ وتوقيرهِ وتبجيلهِ، وتقديمِ أمرهِ وقولهِ على أمرِ غيرهِ وقولهِ.

ومِنَ الظُّلمِ العظيم: أن يُخِلَّ العبدُ بشيءٍ منْ حقوقِ النبيِّ ﷺ الذي هو أولى بالمؤمنينَ منْ أنفسهم، وأرحمُ بهم وأرأفُ بهم منْ كلِّ أحدٍ مِنَ الخلقِ، وهو الذي لمْ يصلْ إلى أحدٍ خيرٌ إلَّا على يديهِ.

ومنَ العدل: برُّ الوالدين، وصلةُ الأرحام، وأداءُ حقوقِ الأصحابِ والمعاملينَ، ومِنَ الظُّلمِ: الإخلالُ بذلكَ.

ومِنَ العدل: قيامُ كلٍّ مِنَ الزوجينَ بحقِّ الآخرِ، ومَنْ أخلَّ بذلكَ منهما فهو ظالمٌ.

وظلمُ النَّاسِ أنواعٌ كثيرةٌ، يجمعها قولهُ ﷺ في خطبتهِ في حجَّةِ الوداعِ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُم وأَمْوَالَكُم وأَعْرَاضَكُم عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُم هَذَا فِي بَلَدِكُم هٰذا، فِي شَهْرِكُم هٰذا**»[1].

فالظُّلمُ كلُّه بأنواعهِ ظلماتٌ يومَ القيامةِ، يعاقبُ أهلها على قدرِ ظلمهم، ويجازى المظلومونَ منْ حسناتِ الظالمينَ، فإنْ لمْ يكنْ لهم حسناتٌ أو فنيتْ أخذَ منْ سيئاتهم فطرحتْ على الظالمينَ.

والعدلُ كلُّه نورٌ يومَ القيامةِ ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحديد: ١٢].

والله تعالى حرَّم الظُّلمَ على نفسهِ، وجعلهُ بينَ عبادهِ محرَّماً، فالله تعالى على صراطٍ مستقيمٍ في أقوالهِ وأفعالهِ وجزائهِ، وهوَ العدلُ، وقدْ نصبَ لعبادِه الصِّراطَ المستقيمَ الذي يرجعُ إلى العدلِ، مَنْ عدلَ عنهُ عدلَ إلى الظُّلمِ والجورِ الموصلِ إلى الجحيمِ.

والظُّلْمُ ثلاثةُ أنواعٍ: نوعٌ لا يغفره الله، وهو الشركُ بالله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

ونوعٌ لا يتركُ الله منهُ شيئاً، وهو ظلمُ العبادِ بعضهم لبعضٍ، فمنْ كمال عدلهِ: أنَّ الخلقَ [يقتصُّ] بعضهم منْ بعضٍ بقدرِ مظالمهم.

ونوعٌ تحتَ مشيئةِ الله: إنْ شاءَ عاقبَ عليهِ، وإنْ شاءَ عفا

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما باللفظ المذكور. وأخرجه البخاري (٦٧ و١٠٥ و١٧٤١ و٤٤٠٦ و٥٥٥٠ و٧٠٧٨ و٧٤٤٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (١٧٤٢ و٤٤٠٣ و٦٠٤٣ و٦٧٨٥)، ومسلم (٦٦) مختصراً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

عنْ أهلهِ، وهو الذنوب التي بينَ العبادِ وبينَ ربِّهم فيما دونَ الشِّركِ»[1].

➢ سابعاً: اتقاء الشح:

عن جَابِرِ بْنِ عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «... **واتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُم عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ واسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»[2].

قال البغويُّ رحمه الله: «الشُّحُّ: هو الحرصُ الشديدُ الذي يحملهُ على ارتكابِ المحارمِ منْ سفكِ الدماءِ، وأكلِ الربا، وأخذِ الحرام، وإتيانِ الفواحش»[3].

عن عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «**إِيَّاكم والشُّحَّ، فإنَّما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم بالشحِّ، أمرهم بالبخلِ فبخلوا، وأَمَرَهُم بالقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وأَمَرهُم بِالفُجُورِ ففَجَرُوا**»[4].

فثمرةُ الشُّحِّ الهلاكُ، كمَا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ**»[5].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٧١ ـ ٧٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٣) (١٤٥٠٣)، ومسلم (٢٥٧٨) واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٣). وانظر: «الصحيحة» (٨٥٨).

(٣) شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٥٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٩٨)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٨٩). راجع: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٥٨).

(٥) أخرجه البزار «كشف الأستار» (٨٠ و٨١)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٥٤) من =

➢ ثامناً: اتقاء فتنة الدنيا والنساء:

عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُم فِيْهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، واتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[1].

قال العلامة السعديُّ رحمه الله: «أخبر ﷺ في هذا الحديثِ حالَ الدنيا وما هي عليهِ مِنَ الوصفِ الذي يروقُ النَّاظرينَ والذائقينَ، ثمَّ أخبرَ أنَّ الله جعلهَا محنةً وابتلاءً للعباد، ثمَّ أمرَ بفعلِ الأسبابِ التي تقي مِنَ الوقوعِ في فتنتها.

فإخبارهُ بأنَّها حلوةٌ خضرةٌ يعم أوصافها التي هي عليها، فهي حلوةٌ في مذاقها وطعمهَا، ولذاتها وشهواتها، خضرةٌ في رَوْنَقِها وحسنهَا الظاهرِ، كمَا قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧].

فهذهِ اللَّذاتُ المنوَّعةُ فيها، والمناظرُ البهيجةُ، جعلها الله ابتلاءً منهُ وامتحاناً واستخلفَ فيهَا العبادَ لينظر كيفَ يعملونَ.

= حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه البزار «كشف الأستار» (٨٢ و٨٣) من حديث ابن عباس وابن أبي أوفى رضي الله عنهما أيضاً. وقال العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٥٣ و٢٦٠٧): «حسن لغيره». راجع: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٨٠٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٢).

فمنْ تناولها منْ حلِّها، ووضعها في حقِّها، واستعانَ بها على ما خُلِقَ لهُ مِنَ القيام بعبوديةِ الله، كانتْ زاداً له وراحلةً إلى دارٍ أشرف منها وأبقى وتمَّتْ لهُ السعادةُ الدنيوية والأخروية.

ومنْ جعلها أكبرَ همِّه، وغايةَ علمهِ ومرادهِ، لمْ يؤتَ منها إلَّا ما كتبَ لهُ، وكانَ مآلهُ بعدَ ذلكَ إلى الشَّقاءِ، ولم يهنأ بلذاتها ولا شهواتها إلَّا مدَّةً قليلةً، فكانتْ لذاتهُ قليلةً وأحزانهُ طويلةً.

وكلُّ نوعٍ منْ لذاتها فيهِ هذه الفتنةُ والاختبارُ، ولكن أبلغ ما يكون وأشدّ فتنة النساء؛ فإنَّ فتنتهنَّ عظيمةٌ، والوقوعُ فيها خطيرٌ وضررها كبيرٌ؛ فإنهنَّ مصائدُ الشيطانِ وحبائلهِ، كمْ صادَ بهنَّ منْ معافًى فأصبحَ أسيرَ شهوتهِ، رهينَ ذنبهِ، قدْ عزَّ عليهِ الخلاصُ، والذنبُ ذنبهُ، فإنَّه الذي لم يحترزْ منْ هذه البليَّة، وإلَّا فلو تحرّزَ منها، لمْ يدخلْ مداخلَ التُّهم، ولا تعرَّضَ للبلاءِ، واستعانَ باعتصامهِ بالمولى، لنجا منْ هذه الفتنةِ، وخلصَ منْ هذه المحنةِ.

ولهذا حذَّرَ النبيُّ ﷺ في هذا الحديث منها على الخصوصِ، وأخبرَ بما جرَّتْ على منْ قبلنا مِنَ الأمم؛ فإنَّ في ذلكَ عبرةً للمعتبرينَ، وموعظةً للمتَّقين»[(١)].

عن أُسَامَةِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[(٢)].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
وأخرجه مسلم (٢٧٤١) من حديث أسامة بن زيد وسعيد بن زيد رضي الله عنهم معاً بلفظ: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي في النَّاس فِتْنَةً، أضَرَّ على الرِّجَال من النِّسَاءِ».

وفي الحديثِ أنَّ الفتنةَ بالنِّساءِ أشدُّ مِنَ الفتنةِ بغيرهنَّ، ويشهدُ لهُ قولهُ تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤] فجعلهنَّ من حبِّ الشهواتِ وبدأ بهنَّ قبلَ بقيةِ الأنواعِ إشارةٌ إلى أنهنَّ الأصلُ في ذلكَ[(١)].

وقالَ العلَّامةُ ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ: «في هذا الحديث أَمَرَ النبيُّ ﷺ بالتقوى بعدَ أنْ ذكرَ حالَ الدُّنيا، فقالَ: «**إنَّ الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ**» حلوةٌ في المذاقِ خضرةٌ في المرأى، والشيءُ إذا كانَ خضراً حلواً فإنَّ العينَ تطلبه أولاً، ثمَّ تطلبُه النَّفسُ ثانياً، والشيءُ إذا اجتمعَ فيهِ العينِ وطلبُ النفسِ فإنَّهُ يوشكُ للإنسانِ أنْ يقعَ فيه.

فالدُّنيا حلوةٌ في مذاقها خضرةٌ في مرآها؛ فيغترُّ الإنسانُ بها وينهمكُ فيها ويجعلها أكبر همِّه، ولكنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن أنَّ الله تعالى مستخلفنا فيها فينظر كيفَ نعمل، هل تقومون بطاعتهِ؟ وتنهونَ النَّفسَ عَنِ الهوى؟ وتقومونَ بما أوجبَ الله عليكم ولا تغتروا بالدُّنيا أو أنَّ الأمرَ بالعكسِ؟

ولهذا قال: «**فاتقوا الدنيا**»؛ أي قوموا بما أمركم به، واتركوا ما نهاكم عنه ولا تغرَّكم حلاوة الدنيا ونضرتها كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

ثمَّ قال: «**واتقوا النساء**» اتقوا النساء أي احذروهنَّ، وهذا يشملُ الحذرَ مِنَ المرأةِ في كيدها مَعَ زوجها، ويشمل أيضاً الحذرَ مِنَ النساءِ وفتنتهنَّ، ولهذا قال: «**فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ كانَتْ في النساء**».

---

(١) فتح الباري (٩/ ٤١).

فافتتنوا في النساء فضلُّوا وأضلُّوا والعياذُ بالله. ولذلكَ نجدُ أعداءنا وأعداءَ ديننا أعداءَ شريعةِ الله عزَّ وجلَّ يركزون اليومَ على مسألةِ النساء وتبرجهنَّ واختلاطهنَّ بالرجالِ ومشاركتهنَّ للرجالِ في الأعمالِ؛ حتى يصبح النَّاس كأنَّهم الحمير لا يهمُّهم إلَّا بطونهم وفروجهم والعياذُ بالله، وتصبحُ النساء كأنهنَّ دمى أي صورة، لا يهتمُّ النَّاس إلَّا بشكلِ المرأةِ.

كيفَ يزينونها، كيفَ يجمِّلونها، وكيفَ يأتونَ لها بالمجمِّلاتِ والمحسِّناتِ، وما يتعلَّقَ بالشَّعرِ، وما يتعلَّقُ بالجلدِ، ونتفِ الشَّعرِ والساقِ والذراع والوجهِ وكلِّ شيءٍ؛ حتى يجعلوا أكبرَ همِّهم النِّساء أنْ تكونَ المرأةُ كالصورة مِنَ البلاستيك، لا يهمُّها عبادةٌ ولا يهمُّها أولادٌ.

ثمَّ إنَّ أعداءَنَا أعداءَ دين الله وشريعتهِ وأعداءَ الحياةِ يريدونَ أنْ يقحموا المرأةَ في وظائفِ الرجال؛ حتى يضيِّقوا على الرجالِ الخناقَ ويجعلوا الشبابَ يتسكعونَ في الأسواقِ ليس لهم شغلٌ، ويحصلُ منْ فراغهم هذا شرٌّ كبيرٌ وفتنةٌ عظيمةٌ؛ لأنَّ الشبابَ والفراغَ والغنى منْ أعظم المفاسدِ كما قيل:

إِنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَة مُفْسِدَةٌ لِلْمَرءِ أَيَّ مَفْسَدَةٍ

فهم يقحمونَ النِّساءَ الآن بالوظائفِ الرِّجالية، ويدعونَ الشبابَ ليفسدَ الشبابُ وليفسدَ النِّساءُ.

أتدرونَ ماذا يحدثُ؟

جـ: يحدثُ مفسدةُ الاختلاطِ ومفسدةُ الزنا والفاحشة، سواءٌ

في زنى العينِ، أو زنى اللِّسانِ، أو زنى اليدِ أو زنى الفرجِ، كلُّ ذلك محتملٌ إذا كانتِ المرأةُ مَعَ الرجلِ في الوظيفة.

وما أكثرَ الفساد في البلادِ التي يتوظفُ الرجالُ فيها مَعَ النساء. ثمَّ إنَّ المرأة إذا وظِّفت فإنَّها سوفَ تنعزلُ عنْ بيتها وعنْ زوجها، وتصبحُ الأسرةُ متفككةً، ثمَّ إنَّها إذا وظِّفت سوفَ يحتاجُ البيتُ إلى خادمٍ، وحِينئذٍ نستجلبُ نساءَ العالمِ منْ كلِّ مكانٍ وعلى كلِّ دينٍ وعلى كل خلقٍ، ولو كانَ الدينُ على غيرِ دينِ الإسلامِ ولو كان الخلقُ خلقاً فاسداً.

نستجلبُ النِّساء ليكنَّ خدماً في البيوتِ، ونجعلُ نساءنا تعملُ في محلِّ رجالنا فنعطِّلُ رجالنا ونشغلُ نساءنا.

وهذا فيهِ مفسدةٌ عظيمةٌ وهي تفكك الأسرةِ؛ لأنَّ الطفل إذا نشأ وليسَ أمامهُ إلَّا الخادم نسيَ أمَّهُ ونسي أباهُ، وفقدَ الطفلُ تعلَّقه بهِ، ففسدتِ البيوتُ وتشتتت الأسرُ، وحصلَ في ذلكَ مِنَ المفاسدِ ما لا يعلمه إلَّا الله.

ولا شكَّ أنَّ أعداءنا وأذنابَ أعدائنا ـ لأنَّهُ يوجدُ فينا أذنابٌ لهؤلاءِ الأعداءِ درسوا عندهم وتلطَّخوا بأفكارهم السيئة، ولا أقولُ إنَّهم غسلوا أدمغتهم، بلْ أقولُ إنَّهم لوثوا أدمغتهم بهذه الأفكارِ الخبيثةِ المعارضةِ لدينِ الإسلامِ ـ قدْ يقولونَ إنَّهُ لا يعارض العقيدة، بلْ نقولُ إنَّه يهدم العقيدةَ؛ ليس معارضة العقيدة بأنْ يقولَ الإنسانُ بأنَّ الله لهُ شريكٌ، أو أنَّ الله ليسَ موجوداً وما أشبهه فحسب.

بل هذه المعاصي تهدمُ العقيدةُ هدماً؛ لأنَّ الإنسانَ يبقى ويكونُ كأنَّهُ ثورٌ أو حمارٌ لا يهتمُّ بالعقيدةِ ولا بالعبادةِ؛ لأنَّهُ متعلِّقٌ بالدنيا وزخارفها وبالنِّساء، وقدْ جاء في الحديثِ الصحيحِ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[1].

ولهذا يجبُ علينا نحنُ ـ ونحن أمةٌ مسلمةٌ ـ أنْ نعارضَ هذهِ الأفكار وأنْ نقفَ ضدَّها في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ مناسبةٍ، علماً بأنَّهُ يوجدُ عندنا قومٌ ـ لا كَثَّرهم اللهُ ولا أنالهم مقصودَهُم ـ يريدونَ هذا الأمرَ لهذا البلدِ المسلمِ المسالمِ المحافظِ؛ لأنَّهم يعلمونَ أنَّ آخرَ معقلٍ للمسلمينَ هو هذهِ البلاد التي تشملُ مقدَّساتِ المسلمينَ وقبلةَ المسلمينَ ليفسدونها؛ حتَّى تفسد الأمَّةُ الإسلامية كلُّها.

فكلُّ الأمَّة الإسلاميةِ ينظرونُ إلى هذه البلادِ ماذا تفعلُ، فإذا انهدم الحياءُ والدينُ في هذهِ البلادِ فسلامٌ عليهم وسلامٌ على الدين والحياءِ.

ولهذا أقولُ يا إخواني يجبُ علينا شباباً وكهولاً وشيوخاً وعلماءَ ومتعلمينَ أنْ نعارضَ هذهِ الأفكار وأنْ نقيمَ النَّاسَ كلَّهم ضدَّها؛ حتى لا تسري فينا سريانَ النَّارِ في الهشيمِ فتحرقنا.

نسألُ الله أنْ يجعلَ كيدَ هؤلاءِ الذينَ يدبِّرونَ مثلَ هذهِ الأمورِ في نحورهم، وألَّا يبلِّغهم منالهم وأنْ يكبتهم برجالٍ صالحينَ، حتى تخمدَ فتنتهم، إنَّهُ جوادٌ كريمٌ»[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٨٤ ـ ٤٨٨).

➢ تاسعاً: اتقاء اللسان:

عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مُرْنِي فِي الإِسْلَامِ بِأَمْرٍ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ. قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِم**» قُلتُ: فَمَا أَتَّقِي؟ فَأَوْمَأَ إِلَى لِسَانِهِ[(١)].

فهذا الرجلُ طلب مِنَ النبيِّ ﷺ كلاماً جامعاً للخير نافعاً، موصلاً صاحبهُ إلى الفلاحِ. فأمره النبيُّ ﷺ بالإيمانِ بالله الذي يشملُ ما يجبُ اعتقادهُ: منْ عقائدِ الإيمانِ وأصولهِ، وما يتبعُ ذلكَ، منْ أعمالِ القلوبِ، والانقيادِ والاستسلامِ لله، باطناً وظاهراً، ثمَّ الدوامُ على ذلكَ، والاستقامةُ عليهِ إلى المماتِ. وهو نظيرُ قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]. فرتَّبَ على الإيمانِ والاستقامةِ؛ السلامَة مْن جميعِ الشرورِ، وحصولَ الجنَّةِ وجميعَ المحابِّ.

وقدْ دلَّتْ نصُوصُ الكتابِ والسنَّةِ الكثيرةِ على أنَّ الإيمانَ يشملُ ما في القلوبِ مِنَ العقائدِ الصحيحةِ، وأعمالِ القلوبِ: مِنَ الرغبةِ في الخيرِ، والرهبةِ مِنَ الشَّرِّ، وإرادةِ الخير، وكراهةِ الشرِّ،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٣) (١٥٤٥٨ و١٥٤٥٩ و١٥٤٦٠)، و(٤/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) (١٩٤٨٩) بلفظ الكتاب، ومسلم (٣٨) مختصراً، والترمذي (٢٤١٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٩ و١١٤٩٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، والدارمي (٢٧١٠ و٢٧١١)، وقال العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢ و٢٨٦٣): «حسن صحيح».

ومنْ أعمالِ الجوارحِ. ولا يتمُّ ذلكَ إلَّا بالثباتِ عليهِ[1].

وقال جلَّ وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

والاستقامةُ: هي سلوكُ الصراطِ المستقيم، وهو الدين القيِّمُ منْ غيرِ تعريجٍ عنه يمنةً ولا يسرةً، ويشملَ ذلكَ فعلَ الطاعاتِ كلِّها، الظاهرةِ والباطنةِ، وترك المنهيات كلِّها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعةً لخصالِ الدين كلها.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ إشارةٌ إلى أنَّهُ لا بدَّ منْ تقصيرٍ في الاستقامةِ المأمورِ بها، فيجبرُ ذلكَ بالاستغفارِ المقتضي للتوبةِ والرجوعِ إلى الاستقامة، فهو كقول النبي ﷺ لمعاذ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»[2]. وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ النَّاس لن يطيقوا الاستقامة حقَّ الاستقامة، كما قال: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، واعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، ولا يُحَافِظُ على الوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»[3].

وفي الصحيحين: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**سدِّدُوا وقَارِبُوا**»[4].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢١ ـ ٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) وغيره من حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، وحسَّنه العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٦١٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧ و٢٧٨) من حديث ثوبان وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٢٤ و٢٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) و(٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٦).

أخرجه البخاري (٣٩ و٥٦٧٣ و٦٤٦٣) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٦) من =

فالسَّدَادُ: هو حقيقةُ الاستقامةِ، وهو الإصابةُ في جميعِ الأقوالِ والأعمالِ والمقاصدِ، كالذي يرمي إلى غرضٍ، فيصيبهُ.

والمقاربةُ: أن يصيبَ ما قَرُبَ مِنَ الغرض إذا لم يُصِبِ الغَرَضَ نَفْسَهُ، ولكن بشرط أن يكون مُصَمِّماً على قصدِ السدادِ وإصابةِ الغرضِ، فتكون مقاربته عنْ غيرِ عمدٍ[1].

وقد قالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: «**قُلْ: اللَّهُمَّ! اهدِنِي وَسَدِّدْنِي. واذْكُرْ بالْهُدَى: هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، والسَّدَادِ: سَدَادَ السَّهْمِ**»[2].

«وهذا منْ أبلغِ التعليمِ والنُّصْحِ، حيثُ أمره أنْ يذكرَ إذا سألَ الله الهدى إلى طريقِ رضاه وجنَّته: كونُه مسافراً، وقد ضلَّ عن الطريقِ، ولا يدري أينَ يتوجَّهُ، فطلعَ لهُ رجلٌ خبيرٌ بالطريقِ عالمٌ بها، فسأله أنْ يدلَّه على الطريقِ، فهكذا شأنُ طريقِ الآخرةِ، تمثيلاً لها بالطريقِ المحسوسِ للمسافرِ، وحاجةُ المسافرِ إلى اللهِ سبحانه: إلى أنْ يهديه تلك الطريق، أعظمُ منْ حاجةِ المسافرِ إلى بلدٍ إلى منْ يدلُّهُ على الطريقِ الموصلِ إليها. وكذلكَ السَّدادُ ـ وهو إصابةُ القصدِ قولاً وعملاً ـ فمثلُه مثلُ رامي السَّهم، إذا وقعَ سهمهُ في نفسِ الشيءِ الذي رماهُ، فقدْ سدَّدَ سهمَهُ وأصابَ، ولمْ يقعْ باطلاً، فهكذا المصيبُ للحقِّ في قولِه وعملهِ بمنزلةِ المصيب في رميه»[3].

= حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (٦٤٦٤ و٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً. وللحديث تتمة وزيادة.

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٠ ـ ٥١١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٥) من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه.

(٣) إغاثة اللهفان (ص٦٥).

فأصلُ الاستقامةِ استقامةُ القلبِ على التوحيدِ.

فمتى استقامَ القلبُ على معرفةِ الله، وعلى خشيتهِ، وإجلالهِ، ومهابتهِ، ومحبتهِ، وإرادتهِ، ورجائهِ، ودعائهِ، والتوكلِ عليهِ، والإعراضِ عمَّا سواهُ، استقامتِ الجوارحُ كلُّها على طاعتهِ، فإنَّ القلبَ هو ملكُ الأعضاءِ، وهي جنودُه، فإذا استقام الملكُ استقامتْ جنودهُ ورعاياه، وكذلكَ فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ﴾ [الروم: ٣٠] بإخلاصِ القصدِ لله وإرادتهِ وحدهُ لا شريكَ لهُ.

وأعظمُ ما يُراعى استقامتُه بعدَ القلبِ مِنَ الجوارحِ اللِّسانُ، فإنَّهُ ترجمانُ القلبِ والمعبِّرُ عنه.

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتَّى يستقيمَ قلبهُ، ولا يستقيمُ قلبهُ حتَّى يستقيمَ لسانهُ**»(١).

ولهذا لمَّا أمرَ النبيُّ ﷺ بالاستقامةِ، وصَّاهُ بعدَ ذلكَ بحفظِ لسانهِ؛ فإنَّ حفظَ اللِّسانِ عليهِ المدارُ، وهوَ ملاكُ أمرِ العبدِ(٢).

وقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِمُعَاذٍ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**» قُلتُ: بلى يا نَبيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فَقُلْتُ: يَا نَبيَّ اللهِ، وإنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذَ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨) بسند حسن.

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وصحَّحه المحدِّث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢١١٠).

هذا يدلُّ على أنَّ كفَّ اللِّسانِ وضبطَهُ وحبسَهُ هو أصلُ الخيرِ كلِّهِ، وأنَّ منْ ملكَ لسانهُ، فقدْ ملكَ أمرهُ وأحكمهُ وضبطهُ[1].

وليتأمَّل القارئُ اللَّبيبُ الآثارَ التالية:

١ ـ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «والله الذي لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ، مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَى طِولِ سِجْنٍ[2] مِنْ لِسَانٍ»[3].

٢ ـ قَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه: «مَا عَقَلَ دِينَهُ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ»[4].

٣ ـ قَالَ ابْنُ عُمَر رضي الله عنهما: «إِنَّ أَحَقَّ مَا طَهَّرَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ»[5].

٤ ـ عنْ زيدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ دَخَلَ علَى أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ وهو يجبذُ لسانَهُ، فقال له عمرُ: «مهْ، غفرَ اللهُ لكَ»

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٦).

(٢) قال ابنُ القَيِّم رحمه الله في «الفوائد» (ص٧٠ ـ ٧١): «طالبُ اللهِ والدارِ الآخرةِ لا يستقيمُ له سيرُه وطلبه إلا بحبسَيْن: حبسِ قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسِه عن الالتفات إلى غيره. وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبسَ حتى يلقى ربَّه فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه. ومتى لم يصبِرْ على هذين الحبسَيْن وفر منهما إلى فضاء الشهوات أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس. وبالله التوفيق.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٤٤ و٨٧٤٥ و٨٧٤٦ و٨٧٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٤) وهنّاد في «الزهد» (١٠٩٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٤٩٠)، وصححه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٥٨).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٩٩) بسند صحيح.

فقال أبو بكرٍ: «إنَّ هذا أوردني الموارد»[١].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كانَ أبو بكرٍ ـ وموضعهُ مِنَ الدينِ والفضلِ والسَّابقةِ أعلى المواضعِ ـ يخافُ منْ لسانِه، ويقولُ: إنَّهُ يوردُه مواردَ يخشى منها على نفسِهِ، فما ظنُّكَ بغيره، وعلى قدرِ علمِ الإنسانِ يكونُ خوفُه ووجلهُ وإشفاقُه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦][٢].

٥ ـ عن أبي وائلٍ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان قلْ خيراً تغنم، واسكتْ عنْ شرٍّ تسلم، من قبل أن تندم، ثمَّ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**أكثرُ خطايا ابنِ آدمَ في لسانِه**»[٣].

٦ ـ قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ يَكُونُ لِسَانُهُ مِنْهُ عَلَى بَالٍ، إِلَّا رَأَيْتُ صَلَاحَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ عَمَلِهِ»[٤].

٧ ـ قَالَ يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَان يُقَالُ: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ أَحْفَظَ لِلِسَانِهِ مِنْهُ لِمَوْضِعِ قَدَمِهِ[٥].

٨ ـ قَالَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ بَعْضُ المَاضِينَ: إِنَّمَا لِسَانِي سَبُعٌ، إِنْ أَرْسَلْتُهُ خِفْتُ أَنْ يَأْكُلَنِي»[٦].

---

(١) رواه مالك (١٨١٠) بسند صحيح.
(٢) الاستذكار (٢٧/ ٣٦٢).
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٦) وجوَّد إسناده العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٥٣٤).
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦٠) بسند صحيح، كما قال المحقق.
(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٢) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٩) بسند صحيح.

٩ ـ قَالَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذَاتَ يَوْمٍ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ أَشَدُّ الْأَعْمَالِ وَأَفْضَلُهَا»؟ قَالَ مُحَمَّدٌ: بَلَى وَكَيْفَ لَنَا بِذَلِكَ؟»[١].

١٠ ـ قَالَ شَفِيٌّ الْأَصْبَحِيُّ ﷺ: «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَتْ خَطِيئَتُهُ»[٢].

١١ ـ قَالَ مُوَرِّقٌ الْعَجْلِيُّ: «أَمْرٌ أَنَا أَطْلُبُهُ مُنْذُ عَشْرِ سِنِينَ، لَمْ أَقْدُرْ عَلَيْهِ، وَلَسْتُ بِتَارِكٍ طَلَبَهُ... قَالُوا: مَا هُوَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ؟ قَالَ: الصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْنِينِي»[٣].

١٢ ـ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ ﷺ: «كَانَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا يَحْفَظُ كَلَامَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ»[٤].

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٦) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٨٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١١٨) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٣٦) بسند صحيح.

طُرُقُ الوُصُولِ إِلَى التَّقْوَى

اعلمْ رحمكَ اللهُ بأنَّ التقوى كَنْزٌ عزيزٌ، فلئنْ ظفرتَ بهِ، فكمْ تجدُ فيهِ مِنْ جوهرٍ شريفٍ، وعِلْقٍ نفيسٍ، وخيرٍ كثيرٍ، ورزقٍ كريمٍ، وفوزٍ كبيرٍ، وغُنْمٍ جسيمٍ، وملكٍ عظيمٍ؛ وكأنَّ خيراتِ الدنيا والآخرةِ جُمِعَتْ فجُعلتْ تحتَ هذهِ الخَصْلَةِ الواحدةِ التي هي التَّقوى.

فتأمَّلْ ما في القرآن منْ ذكرِهَا. كمْ علَّقَ بها من خيرٍ، وكمْ وعدَ عليها منْ ثوابٍ وأجرٍ، وكمْ أضافَ إليها منْ سعادةٍ.

لَقَدْ عَظُمَ قدرهَا، وجَلَّ موقعهَا، فَحَقَّ لهَا أنْ يجلَّ قدرُهَا ويلزمَ طلبُهَا.

ولكنَّكَ تعلمُ أنَّ كلَّ خطيرٍ وكبيرٍ، يُحْتَاجُ فِي اجْتلابِهِ إلى طلبٍ كثيرٍ، وتعبٍ كبيرٍ، وهمَّةٍ عاليةٍ وجُهْدٍ شديدٍ.

فإذاً، كما أنَّ التقوى خَصْلَةٌ عظيمةٌ كبيرةٌ، فالمجاهدةُ في طلبهَا، والقيامُ بحقِّها، والعنايةُ في تحصيلها أيضاً، لفعلٌ كبيرٌ وشأنٌ عظيمٌ، فإنَّ المكارمَ على حسبِ المكارِه، وإنَّ اللَّذَاتِ على حسبِ المؤناتِ.

فاستمعْ وتنبَّه، وتفهَّم جيداً بيانَ طرقِ الوصولِ إلى التَّقوى حتى تَعلَمَهَا، ثمَّ تشمَّرْ للقيامِ بها واستعنْ بالله تعالى، حتَّى تعملَ بما تعلمُ، فإنَّ الشَّأنَ كلَّهُ في ذلكَ. والله وليُّ الهدايةِ والتَّوفيقِ بفضلهِ.

◈ الطريقُ الأولى: العبادة:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

فمنْ أتى بالعبادةِ كاملةً، كانَ مِنَ المُتَّقِينَ. ومنْ كانَ مِن المتَّقِينَ، حصلتْ لهُ النَّجاةُ منْ عذابِ الله وسخطِهِ[١].

«والعبادةُ هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاهُ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ، فالصَّلاةُ، والزَّكاةُ، والصيامُ، والحجُّ، وصدقُ الحديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وبرُّ الوالدينِ، وصلةُ الأرحامِ، والوفاءُ بالعهودِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنَّهيُ عَنِ الْمنكرِ، والجهادُ للكفارِ والمنافقينَ، والإحسانُ للجارِ واليتيمِ والمسكينِ وابنِ السبيلِ والمملوكِ مِنَ الآدميينَ والبهائمِ، والدعاءُ، والذِّكرُ، والقراءةُ، وأمثالُ ذلكَ مِنَ العبادةِ.

وكذلكَ حبُّ اللهِ ورسولِهِ، وخشيةُ الله، والإنابةُ إليهِ، وإخلاصُ الدِّينِ لهُ، والصبرُ لحكمهِ، والشكرُ لنعمهِ، والرضى بقضائهِ، والتوكُّلُ عليهِ، والرجاءُ لرحمتِهِ، والخوفُ منْ عذابِهِ، وأمثالُ ذلكَ؛ هي مِنَ العبادةِ لله.

وذلكَ أنَّ العبادةَ لله هي الغايةُ المحبوبةُ لهُ، والمرضيةُ له، التي خلقَ الخلقَ لها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبها أرسلَ جميعَ الرُّسلِ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِى كُلِّ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/٤٣).

أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وجعلَ ذلكَ لازماً لرسولِه إلى الموتِ؛ كما قال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

وبذلكَ وصفَ ملائكتهُ وأنبياءهُ، فقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠].

وذمَّ المستكبرينَ عنها بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ونعتَ صفوةَ خلقهِ بالعبوديَّةِ لهُ؛ فقالَ تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٦].

وقالَ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقالَ تعالى عَنِ المسيحِ الذي ادُّعيتْ فيهِ الإلهيةُ والنبوةُ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: ٥٩].

ولهذا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر رضي الله عنه باللفظ المذكور. =

وقَدْ نعتُه الله بالعبوديةِ في أكملِ أحوالِهِ.

فقالَ في الإسراءِ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: ١].

وقالَ في الإيحاءِ: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: ١٠].

وقالَ في الدعوةِ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ [الجن: ١٩].

وقال في التَّحدي: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

فالدِّينُ كلُّه داخلٌ في العبادة.

وقدْ ثبتَ في الصَّحيح[1] أنَّ جبريلَ لمَّا جاءَ النَّبِيَّ ﷺ في صورةِ أعرابيٍّ وسألهُ عَنِ الإسلام؛ قالَ: «**الإسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**». قَالَ: فَأَخبرني عن الإيمان، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: فأخبرني عن الإحسان، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

ثُمَّ قَالَ آخر الحديث: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

= وأخرجه البخاري (٦٨٣٠) مطولاً من حديث ابن عباس ﵄ بلفظ: «لا تُطْرُونِي كما أُطْرِيَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وقُولُوا: عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ».

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب ﵁.

فَجَعلَ هذا كلَّهُ مِنَ الدِّينِ.

والدِّينُ يَتَضَمَّنُ معنى الخضوعِ والذُّلِّ، فدينُ اللهِ عبادَتُه وطاعَتُه والخُضوعُ له.

والعبادةُ المأمورُ بها تَتَضَمَّنُ معنى الذُّلِّ ومعنى الحبِّ؛ فهي تتضمَّنُ غايةَ الذُّلِّ لله تعالى بغايةِ المحبَّةِ لهُ.

وهذِهِ العبادةُ: هي التي يحبُّها الله ويرضاها، وبها وصفَ المصطفينَ منْ عبادِه، وبها بعثَ المرسلينَ[1].

فتبيَّنَ بذلكَ أنَّ الطريقَ المؤدي إلى تقوى الله هي العبادةُ.

الطريقُ الثاني: المجاهدة:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

هذه الآية تبيِّنُ أن التقوى هبةٌ مِنَ الله، وزيادةُ الهدايةِ كذلكَ، ولا تكونُ التقوى وزيادةُ الهدايةِ إلَّا بعدَ الهدايةِ، والهدايةُ تحتاجُ إلى مجاهدةٍ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

علَّق سبحانهُ الهدايةَ بالجهادِ، فأكملُ النَّاسِ هدايةً أعظمهم جهاداً. وأفرضُ الجهادِ جهادُ النَّفسِ وجهادُ الهوى، وجهادُ الشيطانِ وجهادُ الدُّنيا، فمنْ جاهدَ هذهِ الأربعة في اللهِ هداهُ الله سبلَ رضاه الموصلة إلى جنَّته، ومنْ تركَ الجهادَ فاتهُ مِنَ الهدى بحسبِ ما عطَّلَ مِنَ الجهادِ ولا يتمكَّنُ منْ جهادِ عدوِّهِ في الظَّاهرِ إلَّا مَنْ جاهدَ هذهِ

---

(١) «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٨ ـ ٥١) مختصراً.

الأعداءِ باطناً، فمنْ نُصِرَ عليها نُصِرَ على عدوِّهِ، ومنْ نُصِرَتْ عليه نُصِرَ عليهِ عدوُّهُ[1].

وجهادُ النَّفسِ أربعُ مراتبَ:

إحداها: أنْ يجاهدَها على تعلُّم الهدى، ودينِ الحقِّ الذي لا فلاحَ لها، ولا سعادةَ في معاشها ومعادها إلَّا به، ومتى فاتها علمهُ، شقيتْ في الدَّارين.

الثانية: أنْ يجاهدَها على العملِ بهِ بعدَ علمهِ، وإلَّا فمجرَّدُ العلمِ بلا عملٍ إنْ لم يضُرَّها لَمْ يَنْفَعْهَا.

الثالثة: أنْ يجاهدَها على الدعوةِ إليهِ، وتعليمهِ منْ لا يعلمهُ، وإلَّا كانَ مِنَ الذينَ يكتمونَ ما أنزلَ الله مِنَ الهدى والبيناتِ، ولا ينفعهُ علمُه، ولا ينجيه منْ عذابِ الله.

الرابعةُ: أن يجاهدَها على الصبر على مشاقِّ الدعوةِ إلى اللهِ، وأذى الخلقِ، ويتحمَّلُ ذلكَ كلَّهُ لله. فإذا استكملَ هذهِ المراتبِ الأربع، صارَ مِنَ الرَّبانيينَ، فإنَّ السلفَ مجمعونَ على أنَّ العالمَ لا يستحقُّ أنْ يسمَّى ربانيّاً حتَّى يعرفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويعلِّمه[2].

ولمَّا كانَ جهادُ أعداءِ اللهِ في الخارجِ فرعاً على جهادِ العبدِ نفسه في ذاتِ اللهِ ـ كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا والذُّنُوبَ**»[3] ـ كَانَ جهادُ

(١) الفوائد (ص١٠٩).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٠).

(٣) قطعة من حديث فُضَالة بن عُبَيد رضي الله عنه: أخرجه أحمد (٦/ ٢١ و٢٢) (٢٤٠٦٧ =

النَّفسِ مُقَدَّماً على جهادِ العدوِّ في الخارجِ، وأصلاً له، فإنَّهُ ما لَمْ يجاهدْ نفسَهُ أولاً لتفعل ما أمرتْ بهِ، وتترك ما نهيت عنهُ، ويحاربهَا في الله، لم يمكنهُ جهادُ عدوِّهِ في الخارج، فكيفَ يمكنهُ جهادُ عدوِّه، والانتصافُ منهُ، وعدوُّهُ الذي بينَ جنبيهِ قاهرٌ لهُ، متسلِّطٌ عليهِ، لمْ يجاهدهُ، ولم يحاربهُ في الله، بل لا يمكنُه الخروجُ على عدوِّهِ، حتى يجاهدَ نفسهُ على الخروجِ[1].

وأمّا جهادُ الشيطانِ، فمرتبتانِ. **إحداهُما**: جهادُهُ على دفعِ ما يلقي إلى العبدِ مِنَ الشُّبهاتِ والشكوكِ القادحةِ في الإيمانِ.

الثانية: جهادُه على دفعِ ما يُلقي إليهِ مِنَ الإراداتِ الفاسدةِ والشَّهَواتِ، فالجهادُ الأوَّلُ يكونُ بعدَّةِ اليقينِ، والثاني يكونُ بعدَّةِ الصبرِ. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

فأخبر أنَّ إمامةَ الدينِ، إنَّما تُنَالُ بالصبرِ واليقينِ، فالصبرُ يدفعُ الشَّهواتِ والإراداتِ الفاسدةِ، واليقينُ يدفعُ الشكوكَ والشُّبهاتِ[2].

وأمَّا جهادُ الكفَّارِ والمنافقينَ، فأربعُ مراتبَ: بالقلبِ، واللِّسانِ، والمالِ والأنفسِ، وجهادُ الكفَّارِ أخصُّ باليدِ، وجهادُ المنافقينَ أخصُّ باللِّسانِ[3].

= و٢٤٠٧٦)، وابن حبان «الإحسان» (٤٨٦٢)، والحاكم (١/ ١٠ ـ ١١) (٢٤)، وصحّحه العلّامة المحدِّث الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٩).

(١) زاد المعاد (٣/ ٦).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٠).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١١).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وأَلْسِنَتِكُمْ**»[1].

وأمَّا جهادُ أربابِ الظُّلمِ، والبدعِ، والمنكراتِ، فثلاثُ مراتبَ: الأولى: باليدِ إذا قدرَ، فإنْ عجزَ، انتقلَ إلى اللِّسانَ، فإنْ عجزَ، جاهدَ بقلبهِ، فهذهِ ثلاثةُ عشر مرتبةً مِنَ الجهادِ و«**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، ولَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»[2].

فينبغي على العبدِ أنْ يجاهِدَ «نفسهُ ليسلمَ قلبَهُ ولسانهُ وجوارحهُ لله، فيكونُ كلُّه لله، لا لنفسِه، ولا بنفسهِ، ويجاهدُ شيطانهُ بتكذيبِ وعدهِ، ومعصيةِ أوامرهِ، وارتكابِ نهيهِ، فإنَّهُ يعدُ الأماني، ويمنِّي الغرورَ، ويعدُ الفقرَ، ويأمرُ بالفحشاءِ، وينهى عَنِ التُّقى والهدى، والعفَّةِ والصبرِ، وأخلاقِ الإيمان كلِّها، فجاهدهُ بتكذيبِ وعدهِ، ومعصيةِ أمرِه، فينشأ لهُ منْ هذينِ الجهادينِ قوَّةٌ وسلطانٌ، وعدَّةٌ يجاهدُ بها أعداءَ اللهِ في الخارجِ بقلبهِ ولسانهِ ويدهِ ومالهِ، لتكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العليا»[3].

الطريقُ الثالث: الصيام:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٤ و١٥٣ و٢٥١ (١٢٢٦٧ و١٢٥٧٧ و١٣٦٦٤))، وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦ و٣١٩٢)، وابن حبان «الإحسان» (٤٧٠٨)، والحاكم (٢/ ٨١) (٢٤٢٧)، وصححه العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٨٦)، و«صحيح سنن النسائي» (٢٩٠٠ و٢٩٩١).

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٠) واللفظ له، وأبو داود (٢٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) زاد المعاد (٣/ ٨).

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

الصيامُ طريقٌ منْ طرقِ التحققِ بالتقوى، وذلكَ لأنَّ التَّقوى طريقُ الجنَّةِ، والجنَّةُ محفوفةٌ بالمكارهِ، والشَّهواتُ طريقُ النَّارِ والصيامُ هو رمزُ السَّيطرةِ على الشهوةِ.

وفي الحديثِ الصَّحيحِ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ**»[1].

وفي الحديثِ الصَّحيحِ الآخرِ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَاْ أَجْزيْ بهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِيْ**»[2].

إنَّ أصعبَ شهواتِ الإنسانِ شهوةُ البطنِ وشهوةُ الفرجِ، فإذا ما سيطرَ الإنسانُ عليهما سهلَ عليهِ بعد أنْ يسيطرَ على شهواتِ نفسهِ كلِّها. والصومُ هو أداةُ السيطرةِ على هاتينِ الشهوتين «**يدع شهوتَهُ وطعامَهُ من أجلي**».. والهدفُ هو التَّقوى، فمنْ لمْ تظهرْ عليهِ ثمرةُ الصيامِ، لمْ يحقِّق الحكمةَ منهُ.

فينبغي أنْ يتحفَّظَ الصائمُ مِنَ الأعمالِ التي تخدشُ صومهُ، حتَّى ينتفع بالصِّيام، وتحصلُ لهُ التقوى التي ذكرهَا اللهُ في قولهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري (١٨٩٤ و١٩٠٤ و٥٩٢٧ و٧٤٩٢ و٧٥٣٨)، ومسلم (١١٥١) واللفظ له.

وليسَ الصيامُ مُجَرَّدَ إمساكٍ عنِ الأكلِ والشربِ، إنَّما هوَ إمساكٌ عَنِ الأكلِ والشربِ، وسائرِ ما نهى اللهُ عنهُ.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّوْرِ والعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**[1].

وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ والشُّرْبِ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جهَلَ عَلَيْكَ، فَلْتَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»**[2].

وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ، ورُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»**[3].

قال العلامة السعديُّ رحمه الله: «إنَّ الصيامَ منْ أكبرِ أسبابِ التقوى، لأنَّ فيهِ امتثالَ أمرِ اللهِ واجتنابَ نهيهِ. فممَّا اشتملَ عليهِ مِنَ التَّقوى، أنَّ الصائمَ يتركُ ما حرَّم الله عليهِ مِنَ الأكلِ والشربِ والجماعِ ونحوها، التي تميلُ إليهَا نفسهُ، متقرِّباً بذلكَ إلى اللهِ، راجياً بتركهَا، ثوابَهُ، فهذا مِنَ التَّقوى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣ و٦٠٥٧)، وأبو داود (٢٣٦٢)، والترمذي (٧٠٧)، وابن ماجه (١٦٨٩).

(٢) أخرجه ابن خزيمة واللفظ له (١٩٩٦)، والحاكم (١/ ٤٣٠ ـ ٤٣١) (١٥٧٠)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال المحدِّث الألباني رحمه الله في تعليقه على «صحيح ابن خزيمة» (٣/ ٢٤٢): «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه ابن خزيمة (١٩٩٧)، والحاكم (١/ ٤٣١) (١٥٧١) واللفظ له، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. والألباني رحمه الله في تعليقه على «صحيح ابن خزيمة» (٣/ ٢٤٢).

ومنها: أنَّ الصَّائم يدرِّب نفسه على مراقبةِ الله تعالى، فيتركَ ما تهوى نفسه، مَعَ قدرتهِ عليهِ، لعلمهِ باطِّلاعِ اللهِ عليه.

ومنها: أنَّ الصيامَ يضيِّقُ مجاري الشيطان؛ فإنَّهُ يجري من ابنِ آدمَ، مجرى الدمِ، فالصيامُ يضعف نفوذهُ، وتقلُّ منهُ المعاصي.

ومنها: أنَّ الصائمَ في الغالبِ، تكثرُ طاعتهُ، والطاعاتُ منْ خصالِ التقوى.

ومنها: أنَّ الغني إذا ذاقَ ألَمَ الجوع، أوجبَ لهُ ذلكَ مواساة الفقراءِ المعدمينَ، وهذا منْ خصالِ التقوى[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ التقوى اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاهُ مِنَ المحبوباتِ وتركِ المنهياتِ.

فالصيَّامُ الطريقُ الأعظمُ للوصولِ إلى هذهِ الغايةِ التي هيَ غايةُ سعادةِ العبدِ في دينهِ ودنياه وآخرتهِ.

فالصَّائمُ يتقرَّبُ إلى الله بتركِ المشتهياتِ؛ تقديماً لمحبتهِ على محبَّةِ النَّفسِ، ولهذا اختصَّهُ الله منْ بينِ الأعمالِ حيثُ أضافهُ إلى نفسهِ في الحديثِ الصَّحيحِ.

وهوَ منْ أصولِ التقوى، إذِ الإسلامُ لا يتمُّ بدونهِ.

وفيهِ منْ زيادةِ الإيمانِ وحصولِ الصبرِ والتمرُّنِ على المشقَّاتِ المقرِّبةِ إلى ربِّ السمواتِ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٤٤).

وأَنَّهُ سببٌ لكثرةِ الحسناتِ منْ صلاةٍ وقراءةٍ وذكرٍ وصدقةٍ ما يحقِّقُ التقوى.

وفيهِ منْ ردعِ النَّفسِ عَنِ الأمورِ المحرَّمةِ مِنَ الأفعالِ المحرَّمةِ والكلامِ المحرَّمِ ما هوَ عمادُ التقوى.

وفي الحديثِ الصَّحيحِ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ**»(١).

فيتقرَّبُ العبدُ إلى الله بتركِ المحرَّماتِ مطلقاً، وهيَ:

- قولُ الزُّورِ، وهوَ كلُّ كلامٍ محرَّمٍ.
- والعملُ بالزُّورِ، وهو كلُّ فعلٍ محرَّمٍ.
- وبتركِ المحرَّماتِ لعارضِ الصومِ وهي المفطرات.

ولما كانَ فيهِ مِنَ المصالحِ والفوائدِ وتحصيلِ الخيراتِ والأجورِ ما يقتضي شرعهُ في جميعِ الأوقاتِ؛ أخبرَ تعالى أنَّهُ كتبهُ علينا كمَا كتبهُ على الذينَ منْ قبلنا، وهذا شأنهُ تعالى في شرائعهِ العامَّةِ للمصالحِ(٢).

الطريقُ الرابع: اتباع الصراط المُستقيم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) إرشاد أولي البصائر والألباب (ص١٣٩ ـ ١٤٠) طبعة أضواء السلف ـ الأولى.

الصراطُ المستقيمُ موصلٌ إلى الله، وإلى دارِ كرامتهِ، معتدلٌ سهلٌ مختصرٌ.

فَمَنِ اتبعهُ نالَ الفوزَ والفلاحَ، وأدركَ الآمالَ والأفراحَ، وصارَ مِنَ المتَّقينَ، وعبادِ الله المفلحين. ووحَّدَ الصِّراطَ، وأضافهُ إليهِ، لأنَّهُ سبيلٌ واحدٌ موصلٌ إليهِ. والله هوَ المعينُ للسالكينَ، على سلوكهِ[1].

عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: خَطَّ لنا رسولُ اللهِ ﷺ خَطّاً، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثم خَطَّ خُطُوطاً عن يمينِهِ وعن شِمَاله، وقالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ، على كُلِّ سَبيلٍ مِنْهَا شَيطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، وقَرَأَ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾**﴾ [الأنعام: ١٥٣][2].

وسبيلُ الله هو الدِّينُ القويمُ والطريقُ المستقيمُ وهما الاعتقادُ الحقُّ والعملُ الصالحُ، وذلكَ لا تتعددُ أنحاؤه، ولا تختلفُ جهاتهُ، لكن له درجات ومنازل، يقطعها السالكُ بعلمهِ وعملهِ، فمنْ زَلَّت قَدَمُهُ وانحرفتْ عنْ أحدِ هذهِ المنازلِ فقدْ ضلَّ سواءَ السبيلِ، وتباعدَ عَنِ المقصدِ المقصودِ، ولا يزالُ سيرهُ وسعيهُ يزيدُ له انهماكاً في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٨٧) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥ و٤٦٥) (٤١٤٢ و٤٤٣٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٧٤ و١١١٧٥)، والدارمي (٢٠٢)، والحاكم (٢/ ٣١٨) (٣٢٤١) من حديث ابن مسعود، وقال المحدِّث الألباني رحمه الله في «مشكاة المصابيح» (١/ ٥٩): «إسناده حسن». وأخرجه ابن ماجه (١١)، وأحمد (٣/ ٣٩٧) (١٥٣١٧) من حديث جابر بن عبد الله، وصحّحه المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١١).

الضَّلالةِ، وبعداً لهُ عَنِ المرمى، إلَّا أنْ يتداركَهُ اللهُ بفضله فيلهمهُ أنَّهُ ليسَ على الطَّريقِ، هذا مقامُ التوبةِ، ثم يَنْكُصُ على عَقِبَيْهِ حتى يلحقَ بالمقام الذي انحرفَ عنهُ وهو الإنابةُ، ثُمَّ يأخذُ منها في سلوكِ ما يليها، وهو السَّدادُ[1].

۞ الطريقُ الخامس: تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣].

ومن خلال هذه الآية يتبيَّنُ لنا أنَّ تلاوةَ كتابِ الله جلَّ وعلا: «أكبرُ سببٍ، وأعظمُ داعٍ للتقوى، والعملِ الصالح»[2].

فالقرآنُ العظيم يُوصل إلى أَجَلِّ المطالب، وأفضلِ الرغائبِ. وليسَ للمتَّقينَ، الذين هم أشرفُ الخلقِ، وراءه غاية، لأنَّهُ الكفيلُ بمعرفةِ ربِّهم، وأسمائهِ، وصفاتهِ، وأفعالهِ، وبالإخبارِ بالغيوبِ الصادقةِ، وبالدعوةِ لحقائقِ الإيمانِ، وشواهدِ الإيقانِ، المبيِّنُ للمأموراتِ كلِّها، والمنهياتِ جميعاً، المعرِّف بعيوبِ النفسِ والعملِ، والطرق التي ينبغي سلوكُهَا في دقيقِ الدِّينِ وجليلهِ، والتحذير منْ طرقِ الشيطان، وبيان مداخلهِ على الإنسانِ.

فمنْ لمْ يغنهِ القرآنُ، فلا أغناهُ الله، ومنْ لا يكفيهِ، فلا كفاهُ الله[3].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة (ص٦٣٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٢٥٤).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٠٣).

فتدبَّر في لطائفِ خطابِه، وطالبْ نفسكَ بالقيامِ بأحكامهِ، وقلبكَ بفهمِ معانيه، وسرَّكَ بالإقبالِ عليه(1).

قال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

ألا ترونَ رحمكم الله إلى مولاكم الكريم كيفَ يحثُّ خلقهُ على أنْ يتدبَّروا كلامه؛ ومنْ تدبَّرَ كلامهُ عرفَ الرَّبَّ عزَّ وجلّ وعرفَ عظيمَ سلطانهِ وقدرتهِ، وعرفَ عظيمَ تفضُّلهِ على المؤمنينَ، وعرفَ ما عليهِ من فرضِ عبادتهِ؛ فألزمَ نفسَهُ الواجبَ؛ فَحَذِرَ ممَّا حذَّرهُ مولاه الكريم، ورغبَ فيما رغَّبهُ، ومنْ كانتْ هذهِ صفتُه عندَ تلاوتِه للقرآنِ وعندَ استماعهِ منْ غيره كانَ القرآن لهُ شفاءً؛ فاستغنى بلا مالٍ، وعزَّ بلا عشيرة، وأنِسَ مما يستوحشُ منه غيرهُ، وكانَ همُّهُ عند التلاوة للسورة إذا افتتحها متى أتَّعظُ بما أتلو، ولمْ يكنْ مراده متى أختم السورة، وإنَّما مراده متى أعقلُ عن الله الخطاب، متى أزدجر، متى أعتبر؛ لأنَّ القرآنَ عبادة، لا تكون بغفلةٍ، والله الموفق لذلك(2).

لقدْ شُغِلَ المسلمونَ عَنِ القرآنِ في الغالبِ. فلا تلاوةَ، ولا فهمٍ، ولا تدبُّرٍ، فماذا وراءَ ذلكَ إلَّا قسوةُ القلبِ، وضعفُ اليقينِ، وقلَّةُ التَّقوى!!



---

(1) تفسير القرطبي (١٩/ ٣٨).

(2) أخلاق حملة القرآن (ص١٠)، للعلامة الرباني الآجريّ رحمه الله.

أَسْئِلَةٌ وأَجْوِبَتُهَا

* **السؤالُ الأولُ:** البعضُ يرتكبُ بعضَ المحرماتِ وإذا نُصِحَ قالَ: التَّقوى هاهنا، التَّقوى هاهنا، فما تعليقكم على ذلك؟

هذا غلطٌ منهُ أن يحتجَّ بالتقوى هاهنا على فعلهِ القبيح، لو كانتِ التقوى في قلبهِ لزجرتهُ عَنِ المحارمِ، فالتقوى هاهنا... صحيحٌ أَنَّ التقوى في الصدرِ والقلبِ، ولكن إذا كانتْ موجودةً منعتهُ منْ محارمِ الله أنْ يردَّ على النَّاس إذا أنكروا عليهِ المنكر، يقولُ: التقوى في القلبِ والباقي ما فيهِ بأس يعملُ ما شاء، هذا غلطٌ ومنكرٌ عظيمٌ.

«التَّقوى هاهنا» معناها: أنَّ التقوى في القلوبِ، وإذا كانت التَّقوى في القلبِ زجرت العبدَ عَنِ المعاصي، ولهذا قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا، ويُشِيرُ إلى صدرهِ ثلاثَ مراتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ**»(١).

فالمعنى أنَّ القلبَ إذا دخلتهُ التَّقوى استقامَ الجسدُ على طاعةِ الله ورسوله، وإذا خلي القلبُ مِنَ التَّقوى انقادت الجوارحُ إلى

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المعاصي، فالأساسُ القلبُ، متى صلحَ صلحَ الجسدُ كلُّه، ومتى فسدَ فسدَ الجسدُ كلُّه، لا كما يظنُّ الجاهلُ والعاصي أنَّ تقواه تكفيهِ في قلبهِ، وقدْ كذبَ، ولو كانَ في قلبهِ تقوى لزجرهُ ذلكَ عَنِ المعاصي. والله المستعان[1].

* **السؤالُ الثاني**: يعتقدُ البعضُ مِنَ النَّاسِ بأنَّ التقوى معناها طأطأةُ الرؤوسِ، والظهورُ بمظهرِ الضعفِ والذلَّةِ والمسكنةِ، فما تعليقكم على هذا[2]؟

هذا غلطٌ، ليست التَّقوى هكذا، التَّقوى هي توحيدُ الله وطاعتهُ واتِّباعُ شريعتهِ، والصدعُ بالحقِّ والنصرة للحقِّ، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُّ عَنِ المنكر. هذهِ هيَ التَّقوى، أنْ يتَّقي الله بفعلِ ما أمرَ وتركِ ما نهى، وأنْ يصدَعَ بالحقِّ ويبيِّنهُ للنَّاسِ، وأنْ يأمرَ بالمعروفِ وينهى عَنِ المنكر حسبَ طاقتهِ، وأنْ يعينَ على الخيرِ ويدعو إلى الله عزَّ وجلَّ، كلُّ هذا مِنَ التقوى، وأعلاها توحيدُ الله والإخلاصُ لهُ، وتركُ الإشراكِ، هذا أعظمُ التقوى وأساسها، ثمَّ أداءُ الفرائضِ وتركُ المحارمِ، كلُّه مِنَ التقوى، ومنْ ذلكَ: تركُ الحرامِ، وتركُ الشبهةِ، وتركُ الخيانةِ، وتركُ الغشِّ، وعدمُ التكبُّرِ على النَّاسِ، وعدمُ الرياءِ... إلى غيرِ ذلكَ.

* **السؤالُ الثالثُ**: نودُ منكم أن تلقوا الضوءَ على حديثِ

---

(١) انظر: كتاب التقوى لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله نقلاً عن كتاب التقوى ـ جمع وإعداد ـ علي بن حسين أبو لوز.

(٢) انظر: كتاب التقوى لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله.

النعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنه: «إنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحرَامَ بَيِّنٌ»؟

هذا[1] حديث النعمان بن بشير، يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**الحَلَالُ بَيِّنٌ والحَرَامُ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمن اتَّقَى الشُّبهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»[2].

هذا حديثٌ عظيمٌ رواه الشيخان في الصحيحين[3]، ويدلُّ على أنَّ الحلالَ وضَّحهُ الله، كالبرِّ والشعيرِ والتمرِ والتعاملِ بالنقودِ المباحةِ وما أشبهَ ذلكَ حلالٌ بيِّنٌ، يبيعُ ويشتري ويأكلُ ويشربُ، هذا حلالٌ بيِّنٌ، الإبلُ حلالٌ بيِّنٌ، البقرُ حلالٌ بيِّنٌ، الغنمُ حلالٌ بيِّنٌ، التعاملُ كما شرعَ الله حلالٌ بيِّنٌ، البيعُ والشراءُ كما شرعَ الله حلالٌ بيِّنٌ.

وبينهما مشتبهاتٌ في المعاملاتِ قدْ تخفى على بعضِ النَّاسِ، فإذا وقعتْ شبهةٌ ولم يتضح لهُ أن هذا العقدَ حلالٌ، أو أنَّ هذا الطَّعام حلالٌ، فالأفضلُ تركهُ، لقوله ﷺ: «**دَعْ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ**»[3]. وقولهِ في حديثِ النعمانِ: «**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وَعِرْضِهِ**».

---

(١) انظر: كتاب التقوى لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٨) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، وصححه العلّامة المحدِّث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٤٥). وانظر: «إرواء الغليل» (٢٠٧٤).

فإذا كانتْ هناكَ لحومٌ تباعُ في السوقِ وعندهُ شكٌ فيها يكونُ تركهَا أولى، حتَّى يشتري لحوماً واضحةً، أو يذبح لنفسهِ دجاجاً أو غيرهُ، أو يشتري سمكاً؛ لأنَّ ميتته حلالٌ، حتَّى لا يقع عندهُ شبهةٌ.

أمَّا إذا كانت شكوكٌ وأوهامٌ لا أساسَ لها ينبغي طرحهَا، إذا كانَ اللَّحمُ الذي يباعُ ما فيهِ شكٌّ بأنْ ذبحهُ المسلمون فينبغي تركُ كثرةِ الوساوسِ، قالتْ عائشةُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ النَّاسَ يأتونَنا باللَّحْمِ لا نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ اللهِ عليه أم لا؟ قال: «**سَمُّوا اللهَ عليه أَنْتُم وَكُلُوا**»[1]. فالأصلُ في طعامِ المسلمِ الإباحةُ، والأصلُ في اللحومِ التي عندَ المسلمِ الإباحةُ، فإذا شككتَ سَمِّ اللهَ، قلْ بسم الله وكلْ، أمَّا إذا كانَ هناكَ أسبابٌ واضحةٌ للشكِّ، دعْ ما يريبكَ إلى ما لا يريبكَ، والله المستعان.

* **السؤال الرابع**: إنَّ هناكَ مِنَ النَّاسِ من يتورَّعُ عنْ أكلِ بعضِ الأطعمةِ المستوردةِ مثلاً، ويرى أنَّ هذا مِنَ التقوى، فهل لهذا وجه[2]؟!

نعم. النبيُّ ﷺ يقول لما أخبر أنَّ الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ، قال: «**وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبَهاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِهِ**»[3] وقال: «**دَعْ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ**»[4]. يعني منْ كمالِ التقوى وتمامها تركُ المشتبهاتِ، لكن

---

(١) رواه البخاري (٢٠٥٧ و٥٥٠٧ و٧٣٩٨)، وابن ماجه (٣١٧٤).

(٢) انظر: كتاب التقوى لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

حقيقتها تركُ ما حرَّم الله وفعلُ ما أوجبَ الله، وأصلُ ذلكَ توحيدُ الله وطاعتهُ وتركُ الإشراكِ بهِ، ثمَّ يتبعُ ذلكَ فعلُ الواجباتِ وتركُ المحارمِ، أمَّا تركُ المشتبهاتِ والورعُ عمَّا يشك فيهِ هذا منْ كمالِ التقوى وليس واجباً.

* **السؤالُ الخامس**: ما هي الأمورُ التي تساعدُ العبدَ على التَّقوى؟

الأمورُ التي تساعدُ العبدَ على التَّقوى: أن يَتَذَكَّرَ عظمةَ اللهِ وَحَقَّهُ عليه، وأنَّ اللهَ يَطَّلِعُ عليه أينما كانَ، وأنَّه على مرأًى مِنَ الله ومسمعٍ، حتَّى يحذرَ معاصيه وحتَّى يؤدي ما أوجبَ اللهُ عليهِ.

هذه هي التَّقوى، أنْ يتذكَّرَ أنَّهُ مرئيٌّ ومسموعٌ، الله يراهُ ويسمعُ كلامهُ لا تخفى عليه خافيةٌ جلَّ وعلا، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: ٦١] يعني: إذ تشرعونَ فيهِ. ويقول جلَّ وعلا: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

فالمؤمنُ يعتقدُ هذا الاعتقاد وهو أنَّ الله يراه ويطلِّعُ عليه فينزجرُ عَنْ محارم الله، ويؤدي فرائضَ الله، ويسارعُ إلى ما أرادَ الله، والجاهلُ يضعفُ اعتقادهُ هذا، وينسى هذا الأمرَ العظيمَ، وينسى اطِّلاعَ الله عليهِ فيتساهلُ بالمعاصي لضعفِ بصيرتهِ وقلَّةِ إيمانهِ وضعفِ إيمانهِ.

أمَّا المؤمنُ الذي قدْ وهبهُ الله العلمَ والبصيرةَ فلتقواه ولإيمانهِ بالله واستحضارهِ عظمةَ الله يدعُ ما حرَّم اللهُ عليهِ، وينتهي عمَّا حرَّم اللهُ عليهِ، ويسارعُ إلى ما أوجبَ اللهُ عليهِ.

* **السؤال السادس**: ما يستفاد من قوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ**»[1]؟

يستفاد من هذا الحديث فوائد:

إحداها: صرف الهمَّةِ إلى الاعتناء بأحوال القلبِ وصفاتِه؛ بتحقيقِ علومهِ، وتَصحيحِ مقاصدهِ وعزومهِ، وتطهيرهِ عن مذموم الصفات، واتصافه بمحمودها؛ فإنَّهُ لما كان القلب هو محلَّ نظر الله تعالى فحقّ العالم بقدر اطِّلاعِ الله تعالى على قلبِه أنْ يفتش عن صفاتِ قلبِهِ وأحوالها؛ لإمكان أنْ يكونَ في قلبه وصفٌ مذمومٌ يمقته الله بسببهِ.

الثانية: أنَّ الاعتناء بإصلاح القلب وبصفاته مقدَّمٌ على الأعمال بالجوارح؛ لتخصيص القلبِ بالذكر مقدَّماً على الأعمالِ، وإنَّما كان ذلك لأنَّ أعمالَ القلوبِ هي المصحِّحة للأعمالِ، إذ لا يصحُّ عملٌ شرعيٌّ إلَّا من مؤمنٍ عالم بمن كلَّفه، مخلصٍ له فيما يعمله، ثمَّ لا يكمِّلُ ذلك إلا بمراقبة الحقِّ فيه، وهو الذي عبَّر عنه بالإحسان، حيث قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»...

---

(١) قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «شجرة المعارف» (ص١٢١): «لا ثواب على الصور والأموال، وإنَّما الثواب على إصلاح القلوب والأعمال، بل ربما كان نظرنا إلى الصور والأموال سبباً في الكبر والإعجاب».

الثالثة: أنَّهُ لمَّا كانت القلوبُ هي المصحِّحة للأعمالِ الظاهرة، وأعمال القلب غيبٌ عنَّا، فلا يقطع بمعيب أحد؛ لما يرى عليه من صور أعمال الطاعة أو المخالفة؛ فلعلَّ من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم الله تعالى من قلبه وصفاً مذموماً لا تصح معه تلك الأعمال، ولعلَّ من رأينا عليه تفريطاً أو معصية يعلم الله من قلبه وصفاً مذموماً لا تصح معه تلك الأعمال، ولعلَّ من رأينا عليه تفريطاً أو معصية يعلم الله من قلبه وصفاً محموداً يغفر له بسببه، فالأعمال أمارات ظنية لا أدلَّةٌ قطعية، ويترتَّب عليها عدم الغلو في تعظيم من رأينا عليه أفعالاً صالحةً، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة، بل تحتقر وتذمّ تلك الحالة السيئة، لا تلك الذات المسيئة. فتدبَّر هذا، فإنَّه نظر دقيق[1].



(١) المفهم (٦/٥٣٨ ـ ٥٣٩).

ثَمَرَاتُ التَّقْوَى

كلُّ منْ تدبَّر مواردَ التقوى في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وفي سنَّةِ رسولهِ محمَّدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام، علمَ أنَّها سببُ كُلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة. فإذا قرأت كتاب ربِّكَ منْ أولهِ إلى آخرهِ، تجد التقوى رأس كلِّ خيرٍ، ومفتاحُ كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة، وإنَّما تأتي المصائبُ والبلايا والمحنُ والعقوباتُ بسببِ الإهمالِ أو الإخلالِ بالتقوى وإضاعتها، أو إضاعةِ جزءٍ منها، فالتقوى هي سببُ السعادةِ والنجاةِ وتفريجِ الكروبِ والعزِّ والنَّصرِ في الدنيا والآخرة[1].

وفيما يلي نوردُ ثمراتٍ طيبة للتقوى يجنيهَا المتَّقونَ من ربِّهم عطاءً غيرَ مجذوذ.

۞ ١ ـ معية الله تعالى:

قال الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن باز (٢/ ٢٨٣).

وهذهِ منقبةٌ عظيمةٌ للمتقينَ. فلوْ لمْ يكنْ للمتَّقِينَ فضيلةٌ إلَّا أنَّهم حازوا بهذهِ المعيةِ مِنَ الله، لكفى بها فضلاً وشرفاً.

هذهِ المعيةُ الخاصَّةُ بالمتَّقينَ غير المعية العامَّةِ المذكورة في قولهِ تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

فإنَّ المعيةَ الخاصَّة تقتضي النَّصرَ والتأييدَ والحفظَ والإعانةَ والمحبَّةَ والقربَ والتَّوفيق، كمَا قالَ تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ومنْ كانَ الله معهُ، حصلَ لهُ السعادةُ الأبديَّةُ[(١)].

ومنْ كانَ الله معهُ فلنْ يضلَّ طريقهُ، فإنَّ معية الله سبحانه وتعالى تهديهِ كما أنَّها تكفيهِ.

ومنْ كانَ الله معه فلنْ يقلقَ ولنْ يشقى. فإنَّ قربه مِنَ الله يطمئنه ويسعدهُ.

وعلى الجملةِ فمنْ كانَ الله معه فقد ضمن، وقد وصلَ، وما لهُ زيادةٌ يستزيدهَا على هذا المقامِ الكريمِ.

ومنْ كان الله معه، كان غالباً، وصفقتُه رابحةً، وحالتُه صالحةً، وأَمْرُهُ عَالٍ.

ومن لم يَلْزَمِ التقوى، تَخَلَّ عنه وَلِيُّه، وخَذَلَهُ، فَوَكَلَهُ إلى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/١٥٣).

نفسه، فصارَ هلاكُهُ أقربَ إليهِ منْ حبلِ الوريدِ[1].

۞ ٢ ـ محبة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

ولو لم يكنْ في تقوى الله تعالى إلَّا هذهِ الخصلة ـ التي هي محبَّة الله ـ لكفتْ عَمّا عَدَاها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]: «يقتضي أنْ نتقي الله عزَّ وجلَّ، لا نتقي المخلوقينَ؛ بحيث إذا كان عندنا منْ نستحي منهُ مِنَ الناس؛ تركنا المعاصي، وإذا لم يكن؛ عصينا؛ فالتقوى أنْ نتقي الله عزَّ وجلَّ، ولا يهمُّكَ الناس. أصلح ما بينكَ وبينَ الله؛ يصلح الله ما بينك وبين الناس. انظر يا أخي إلى الشيء الذي بينك وبين ربِّك، ولا يهمك غير ذلك؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]. افعل ما يقتضيه الشرع، وستكون لك العاقبة»[2].

۞ ٣ ـ رضوان الله تعالى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/١٥٣).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (ص٢٠٢).

اعلمْ باركَ الله فيكَ بأنَّ رضوانَ الله «الغايةُ التي شمَّر إليهَا المشمِّرونَ، وتنافسَ فيها المتنافسونَ، وتسابقَ إليها المتسابقونَ، ولمثلهَا فليعملِ العاملونَ»[١].

ورضا الله عَنِ العبدِ أكبرُ مِنَ الجنَّةِ وما فيها، لأنَّ الرضا صفةُ الله والجنَّة خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢][٢].

اللهمَّ ارضَ عنا رضاً لا يشوبه سخطٌ ولا يكدِّرهُ نكدٌ، يا منْ بيدهِ الخيرُ كلُّهُ دقُّه وجلُّه[٣].

٤ ـ ولاية الله تبارك وتعالى:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

«يتولَّاهم ربُّ العالمينَ بولايته الخاصَّة، ويتولَّى تربيتهم، فيخرجهم منْ ظلماتِ الجهلِ والكفرِ والمعاصي والغفلةِ والإعراضِ، إلى نورِ العلمِ واليقينِ والإيمانِ، والطاعةِ والإقبالِ الكاملِ على ربِّهم، وينوِّر قلوبهم بما يقذفه فيها منْ نورِ الوحي والإيمانِ، وييسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى»[٤].

---

(١) حادي الأرواح (ص٣٦١).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (٢/٦٠٣).

(٣) فتح القدير (٢/٥٥٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١/٥٠٢).

۞ ٥ ـ الصداقة الرابحة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ[1] يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فالمتَّقون هم الذينَ تدومُ وتتصلُ محبتهم وخلّتهم، بدوامِ منْ كانتِ المحبَّةُ لأجلهِ كما قيل:

مـا كـانَ لله دامَ واتَّـصـلَ	وما كانَ لغيرِ الله انقطع وانفصل

۞ ٦ ـ حصول الرحمة:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وإذا حصلت الرَّحمةُ، حصلَ خيرُ الدُّنيا والآخرة[2].

۞ ٧ ـ المكانة العالية عند الله والارتفاع فوق الكفرة والساخرين:

قال الله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة: ٢١٢].

يخبرُ تعالى أنَّ الذين كفروا بالله وبآياتهِ ورسلهِ، ولم ينقادوا لشرعهِ، أنَّهم زيِّنت لهم الحياةُ الدنيا. فزيِّنتْ في أعينهم وقلوبهم، فرضوا بها، واطمأنوا بها فصارت أهواؤهم وإرادتهم وأعمالهم كلُّها

---

(١)
أَخِـلَّاء الـرِّجَـالِ هُـمْ كَـثِـيـرُ	ولَـكِـنْ فـي الـبَـلَاءِ هُـمْ قَـلِـيـلُ
فَـلَا تَـغْـرُرْكَ خُـلَّـةُ مَـنْ تُـؤَاخِـي	فَـمَـا لَـكَ عِـنْـدَ نَـائِـبَـةٍ خَـلِـيـلُ
وكُـلُّ أَخٍ يَـقُـولُ أَنَـا وَفِـي	ولَـكِـنْ لَـيْـسَ يَـفْـعَـلُ مَـا يَـقُـول
سِـوَى خِـلٍّ لـهُ حَـسَـبٌ ودِيْـنٌ	فَـذَاكَ لِـمَـا يَـقُـولُ هُـوَ الـفَـعُـولُ

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ١٧٢).

لها، فأقبلوا عليهَا، وأكبُّوا على تحصيلها، وعظَّموها، وعظَّموا منْ شاركهم في صنيعهم، واحتقروا المؤمنين، واستهزأوا بهم وقالوا: أهؤلاءِ منَّ الله عليهم منْ بيننا؟ وهذا منْ ضعفِ عقولهم ونظرهم القاصرِ، فإنَّ الدنيا دار ابتلاءٍ وامتحانٍ، وسيحصل الشقاءُ فيها لأهل الإيمان والكفران. بل المؤمنُ في الدُّنيا، وإنْ نالهُ مكروهٌ، فإنَّهُ يصبرُ ويحتسبُ، فيخفف الله عنهُ بإيمانه وصبره، ما لا يكونُ لغيره. وإنَّما الشَّأنُ كلُّ الشَّأنِ، والتفضيلُ الحقيقيُّ، في الدارِ الباقية، فلهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيكونُ المتَّقونَ في أعلى الدرجاتِ، متمتعينَ بأنواعِ النَّعيمِ والسرورِ، والبهجةِ والحبورِ. والكفار تحتهم في أسفلِ الدركاتِ، معذبينَ بأنواعِ العذابِ والإهانةِ، والشَّقاءِ السرمديِّ، الذي لا منتهى له. ففي هذه الآيةِ تسليةٌ للمؤمنينَ، ونعيٌ على الكافرين.

ولـمَّا كانت الأرزاقُ الدنيويةُ والأخرويةُ، لا تحصلُ إلَّا بتقديرِ الله، ولنْ تُنالَ إلَّا بمشيئةِ الله. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فالرزق الدنيويُّ، يحصلُ للمؤمنِ والكافرِ. وأمَّا رزقُ القلوبِ مِنَ العلم والإيمانِ، ومحبَّةِ الله، وخشيته ورجائه ونحو ذلك، فلا يعطيها إلَّا منْ يحبُّه[1].

۞ ٨ ـ التيسير لليسرى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٦٧ ـ ١٦٧).

ومنْ يسَّرهُ الله لليسرى فقدْ وصل. وصلَ في يسرٍ وفي رفقٍ وفي هوادةٍ.. وصل وهو بعد في هذهِ الأرضِ. وعاشَ في يسرٍ. يفيض اليسرُ منْ نفسهِ على كلِّ ما حولهُ وعلى كلِّ منْ حوله. اليسرُ في خطوه. واليسرُ في طريقهِ. واليسر في تناوله للأمورِ كلِّها. وهي درجة تتضمَّن كلَّ شيءٍ في طياتها. حيثُ تسلكُ صاحبها مَعَ رسولِ الله ﷺ في وعد ربِّه له: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الأعلى: ٨].

قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وحقيقةُ اليسرى أنَّها الخلَّةُ والحالةُ السهلةُ النَّافعةُ الواقعةُ له، وهي ضدُّ العسرى، وذلكَ يتضمَّنُ تيسيرهُ للخيرِ وأسبابهِ، فيجري الخيرُ، وييسَّرُ على قلبهِ، ويديهِ ولسانهِ وجوارحهِ. فتصيرُ خصالُ الخيرِ ميسَّرةً عليهِ، مذلَّلةً لهُ منقادةً. لا تستعصي عليهِ، ولا تستصعبُ؛ لأنَّهُ مهيَّأ لها، ميسَّرٌ لفعلها، يسلكُ سبلها ذللاً، وتقادُ لهُ علماً وعملاً. فإذا خاللته قلتَ هوَ الذي قيلَ فيهِ:

مباركُ الطلعةِ ميمونهَا   يصلحُ للدُّنيا والدِّينِ»[1]

۞ ٩ ـ الانتفاع بكتاب الله:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢].

خصَّ الله تعالى المتَّقين بهدايتهِ ـ وإنْ كانَ هدًى للخلقِ أجمعينَ[2] ـ؛ لأنَّهم أتوا بالسببِ الأكبرِ، لحصولِ الهدايةِ، وهو التَّقوى التي حقيقتها: اتخاذُ ما يقي سخطَ الله وعذابَهُ، بامتثالِ

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٤١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٣).

أوامرهِ، واجتنابِ نواهيهِ، فاهتدوا بهِ، وانتفعوا غايةَ الانتفاعِ.

فالمتَّقون همُ المنتفعونَ بالآياتِ القرآنيةِ، والآياتِ الكونية.

ولأنَّ الهدايةَ نوعان: هدايةُ البيانِ، وهدايةُ التوفيقِ. فالمُتَّقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لمْ تحصلْ لهم هدايةُ التوفيقِ.

وهدايةُ البيانِ بدونِ توفيقٍ للعمل بها، ليستْ هدايةً حقيقيةً تامَّةً[1].

۞ ١٠ ـ الفلاح:

قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والفلاحُ هو: الفوزُ والظفرُ بكلِ مطلوبٍ مرغوبٍ، والنَّجاةُ منْ كلِّ مرهوبٍ. فحقيقتُه، السعادةُ الأبديَّةُ، والنَّعيمُ المقيمُ[2].

فلا سبيلَ إلى الفلاحِ إلا بسلوكِ سبيل التقوى، وما عدا تلك السبيل، فهيَ سبلُ الشقاءِ والهلاكِ والخسارةِ، التي تفضي بسالكهَا إلى الهلاكِ[3].

۞ ١١ ـ انتفاء الخوف والحزن:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٨١ ـ ٤٨٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٤).

وقال جلَّ وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وإذا انتفى الخوفُ والحزنُ، حصلَ الأمنُ التامُّ، والسعادةُ، والفلاحُ الأبديُّ[١].

وكيفَ يخافُ أولياءُ الله أو يحزنونَ والله معهم هكذا في كلِّ شأنٍ وفي كلِّ عملٍ وفي كلِّ حركةٍ أو سكونٍ؟! وهم أولياءُ الله المؤمنونَ بهِ الأتقياء المراقبونَ لهُ في السرِّ والعلنِ.

كيفَ يخافونَ وكيفَ يحزنونَ، وهمْ على اتِّصالٍ بالله لأنَّهم أولياؤهُ؟!.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ منْ عبادِ الله لأناساً ما هم بأنبياءَ، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامةِ، بمكانهم من الله تعالى**» قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: «**هم قومٌ تحابوا بروح الله على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إنَّ وجوههم لنور، وإنَّهم على نورٍ. لا يخافون إذا خاف النَّاس، ولا يحزنونَ إذا حزن النَّاس**» وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢][٢].

۞ ١٢ ـ البشرى:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٠٨/٢).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٢٧) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣٠١٢).

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ [يونس: ٦٤]؟.

قال: «**مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ**»[1].

۞ ١٣ ـ الاهتداء والاتعاظ والاعتبار:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

فالمتَّقونَ «هم المنتفعونَ بالآياتِ. فتهديهم إلى سبيلِ الرَّشادِ، وتعظهم، وتزجرهم، عنْ طريقِ الغيِّ. وأمَّا باقي النَّاس، فهي بيانٌ لهم، تقوم بهِ عليهم الحجةُ مِنَ الله، ليهلكَ منْ هلكَ عنْ بيِّنةٍ»[2].

۞ ١٤ ـ قبول العمل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

والمعنى: أنَّ الله تعالى «يتقبَّلُ العملَ لمن اتقى الله فيهِ، فعمله خالصاً لله موافقاً لأمرِ الله.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٥) بسند حسن. وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٧٨٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٧٣).

فمن اتقاه في عمل، تقبله منه، وإن كان عاصياً في غيره. ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه، وإن كان مطيعاً في غيره»[1].

قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية: أي ممَّن اتَّقاهُ في ذلكَ العمل، ليسَ المرادُ بهِ الخلو مِنَ الذنوب، ولا مجرَّد الخلوِّ مِنَ الشرك، بلْ مَنِ اتَّقاهُ في عملٍ قبلهُ منهُ وإنْ كانتْ له ذنوبٌ أخرى، بدليل قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] فلوْ كانت الحسنةُ لا تُقْبَلُ منْ صاحبِ السيئةِ لم تمحها[2].

۞ ١٥ ـ استقبال الملائكة وسلامهم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

بَدَؤُوهم بالسلامِ المتضمِّنِ للسلامةِ منْ كلِّ شرٍّ ومكروهٍ، أي: سلمتم، فلا يلحقكم بعدَ اليوم ما تكرهونَ، ثم قالوا لهم: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ أي: سلامتكم ودخولها بطيبكم، فإنَّ الله حرَّمها إلَّا على الطيبين، فبشَّروهم بالسَّلامةِ والطِّيبِ، والدخولِ والخلودِ[3].

۞ ١٦ ـ الإمداد بالملائكة:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢٢).

(٢) منهاج السنة (٥/ ٢٩٦).

(٣) حادي الأرواح (ص٨٢).

يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥].

۞ ١٧ ـ الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُرشدهم تعالى إلى السَّلامة منْ شرِّ الأشرارِ وكيدِ الفجَّارِ باستعمالِ الصبرِ والتقوى والتوكُّلِ على الله الذي هو محيطٌ بأعدائهم، فلا حولَ ولا قوَّة لهم إلَّا به. وهو الذي ما شاء كانَ وما لم يشأ لم يكنْ، ولا يقعُ في الوجودِ شيءٌ إلَّا بتقديرِهِ ومشيئتِهِ، ومنْ توكَّلَ عليهِ كفاه»[1].

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المسلمون إذا صبروا في طاعةِ الله وفي جهادِ أعدائه واتَّقوا ربَّهم في ذلكَ بإعدادِ العدَّةِ المستطاعةِ: البدنيةِ والماليةِ والزراعيةِ والسلاحِ وغيرِ ذلكَ، نصروا على عدوِّهم؛ لأنَّ هذا كلَّه منْ تقوى الله، ومنْ أهمِّ ذلكَ إعدادُ العدَّة المستطاعة منْ جميعِ الوجوهِ، كالتدريبِ البدنيِّ والمهنيِّ والتدريبِ على أنواعِ الأسلحةِ، ومنْ ذلكَ إعدادُ المالِ وتشجيعُ الزراعةِ والصناعةِ وغيرِ ذلكَ مما يستعانُ بهِ على الجهادِ، والاستغناءُ عمَّا لدى الأعداءِ، وكلُّ ذلكَ داخلٌ في قولهِ سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولا يتمَّ ذلكَ إلَّا بالصبرِ، والصبرُ منْ أعظمِ شعبِ التقوى

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٣٠).

وعطفها عليهِ في قوله سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٢٠] منْ عطفِ العامِ على الخاص، فلا بدَّ منْ صبرٍ في جهادِ الأعداءِ، ولا بدَّ منْ صبرٍ في الرباطِ في الثغورِ، ولا بدَّ من صبرٍ في إعدادِ المستطاعِ منَ الزادَ والبدنِ القويِّ المدرَّب، كما أنَّه لا بدَّ مِنَ الصبرِ في إعدادِ الأسلحةِ المستطاعةِ التي تماثلُ سلاحَ العدوِّ أو تفوقُه حسب الإمكان.

ومع هذا الصبرِ لا بدَّ منْ تقوى الله في أداءِ فرائضهِ وتركِ محارمهِ والوقوفِ عندَ حدودهِ والانكسارِ بين يديهِ والإيمانِ بأنَّه النَّاصرُ وأنَّ النَّصر منْ عنده لا بكثرةِ الجنودِ ولا بكثرةِ العدَّة ولا بغيرِ ذلكَ منْ أنواعِ الأسبابِ، وإنَّما النَّصرُ منْ عندهِ سبحانه، وإنَّما جعلَ الأسبابَ لتطمينِ القلوبِ وتبشيرهَا بأسبابِ النَّصرِ، كمَا قالَ جلَّ وعلا: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ١٠] الآية، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] الآية.

وهذهِ الأعمالُ منْ شعبِ التقوى، وبهذا يعلمُ معنى قولهِ سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فإذا أرادَ المسلمونَ النَّصرَ والعزَّةَ والنَّجاةَ في الدُّنيا والآخرةِ فعليهم بتقوى الله عزَّ وجلَّ[١].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) للعلامة ابن باز رحمه الله.

۞ ١٨ ـ المقام الأمين:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١﴾ [الدخان: ٥١].

والمقامُ: موضعُ الإقامةِ، والأمينُ: الآمنُ منْ كلِّ سوءٍ وآفةٍ ومكروهٍ، وهو الذي قدْ جمعَ صفاتِ الأمنِ كلِّها، فهوَ آمنٌ مِنَ الزوالِ والخرابِ، وأنواعِ النَّقصِ، وأهلهُ آمنونَ فيهِ مِنَ الخروجِ والنقصِ والنَّكدِ و﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] الذي قدْ أمِنَ أهله فيهِ ممَّا يخافُ منهُ سواهم.

وتأمَّلَ كيفَ ذكرَ سبحانه الأمنَ في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١﴾ وفي قولهِ تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ [الدخان: ٥٥]. فجمعَ لهم بينَ أمنِ المكانِ وأمنِ الطعامِ، فلا يخافونَ انقطاعَ الفاكهةِ ولا سوءَ عاقبتهَا ومضرَّتها، وأمنِ الخروجِ منها، فلا يخافونَ ذلكَ، وأمنِ الموتِ فلا يخافونَ فيها موتاً.

۞ ١٩ ـ مقعد الصدق:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

فسمَّى الجنَّةَ مقعدَ صدقٍ، لحصولِ كلِّ ما يرادُ مِنَ المقعدِ الحسنِ فيها، كما يقالُ: مودَّةٌ صادقةٌ: إذا كانتْ ثابتةً تامَّةً، وحلاوةٌ صادقةٌ، وجملةٌ صادقةٌ، ومنهُ الكلامُ الصدقُ، لحصولِ مقصودهِ منهُ، وموضعُ هذه اللَّفظةِ في كلامهم الصحَّةُ والكمالُ، ومنهُ الصِّدقُ في

الحديث، والصِّدقُ في العملِ، والصديق الذي يصدق قوله بالعملِ، ومنه الصَّداقةُ لصفاءِ المودَّةِ والمخالةِ، ومنهُ قدمُ الصِّدقِ، ولسانُ الصِّدقِ، ومدخلُ الصِّدقِ، ومخرجُ الصِّدقِ، وذلكَ كلُّهُ للحقِّ الثابتِ المقصودِ الذي يرغبُ فيهِ، بخلافِ الكذبِ الباطلِ، الذي لا شيءَ تحتهُ، ولا يتضمَّنُ أمراً ثابتاً.

ولسانُ الصِّدقِ هو لسانُ الثناءِ الصادق بمحاسنِ الأفعالِ، وجميلِ الطرائقِ، وفي كونه لسان صدقٍ إشارةٌ إلى مطابقتهِ للواقعِ، وأنَّهُ ثناءٌ بحقٍّ لا بباطلٍ.

ومدخلُ الصِّدقِ ومخرجُ الصِّدقِ، وهو المدخلُ والمخرجُ الذي يكونُ صاحبهُ ضامناً على الله، وهو دخولُهُ وخروجهُ باللهِ وللهِ. وهذهِ الدعوةُ منْ أنفعِ الدعاءِ للعبدِ، فإنَّه لا يزالُ داخلاً في أمرٍ وخارجاً منْ أمرٍ، فمتَّى كانَ دخولُه بالله ولله وخروجهُ كذلكَ، كانَ قدْ أُدخلَ مدخلَ صدقٍ وأُخرجَ مخرجَ صدقٍ(١).

۞ ٢٠ ـ كفلين من الرحمة والنور والمغفرة:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨].

فضَمِنَ لهم سبحانه بالتقوى ثلاثةَ أمورٍ:

(أحدُها) أعطاهم نصيبَيْنِ منْ رحمتهِ: نصيباً في الدُّنيا، ونصيباً

---

(١) حادي الأرواح (ص١٣٨ ـ ١٣٩).

في الآخرةِ وقدْ يضاعفُ لهم نصيبُ الآخرةِ فيصير نصيبينِ.

(الثاني) أعطاهم نوراً يمشون به في الظلمات.

(الثالثُ) مغفرةُ ذنوبِهم.

۞ ٢١ ـ حسن العاقبة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

المتَّقون لهم العاقبةُ الحسنى. أي حالةَ الفلاحِ والنَّجاحِ التي تستقرُّ وتستمرُّ لمن اتقى الله تعالى(١)، طالَ الزمنُ أم قصرَ. وغيرهم وإنْ حصلَ لهم بعضُ الظهورِ والراحةِ فإنَّهُ لا يطول وقتهُ، ويزولُ عنْ قريبٍ(٢).

وفي هذا «دليلٌ على أنَّ التقوى هي ملاكُ الأمرِ وعليها تدورُ دوائرُ الخير»(٣).

عَـنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، والعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ**»(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٤٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٤٤).

(٣) فتح القدير (٣/ ٥٦٤).

(٤) رواه مسلم (٢٢٧٠).

۞ ٢٢ ـ إصلاح العمل وغفران الذنوب:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السرِّ والعلانيةِ، ويخص منها ويندب للقولِ السديدِ، وهو القولُ الموافقُ للصَّوابِ، أو المقارب لهُ، عندَ تعذر اليقين، منْ قراءةٍ، وذكرٍ، وأمرٍ بمعروفٍ، ونهيٍّ عَنْ منكرٍ، وتعلُّم علمٍ وتعليمه، والحرصُ على إصابةِ الصواب، في المسائلِ العلميةِ، وسلوك كلِّ طريقٍ يوصلُ لذلكَ، وكلُّ وسيلةٍ تعينُ عليه. ومنَ القول السديدِ، لينُ الكلامِ ولطفهُ في مخاطبة الأنامِ، والقولُ المتضمِّنُ للنصحِ والإشارة، بما هو الأصلحُ.

ثمَّ ذكرَ ما يترتَّبُ على تقواه، وقولِ القولِ السَّديدِ فقال: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي يكونُ ذلكَ سبباً لصلاحها، وطريقاً لقبولها، لأنَّ استعمالَ التقوى، تتقبَّلُ بهِ الأعمالُ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. ويوفَّقُ فيهِ الإنسانُ للعملِ الصالحِ، ويصلحُ الله الأعمالَ أيضاً، بحفظها عمَّا يفسدهَا، وحفظِ ثوابها ومضاعفتهِ. كما أنَّ الإخلالَ بالتقوى، والقولِ السديدِ سببٌ لفسادِ الأعمالِ، وعدمِ قبولها، وعدمِ ترتب آثارها عليها.

فبالتقوى تستقيمُ الأمورُ، ويندفعُ بها كلُّ محذورٍ ولهذا قال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ١٧٣).

وحسبكَ بذلكَ درجةً ورفعةً ومنزلةً[1].

وعلمَ منْ هذهِ الآيةِ أنَّ منْ لمْ يتقِ الله ويقلْ قولاً سديداً فإنَّهُ حريٌّ بأنْ لا يصلح الله لهُ أعمالهُ ولا يغفر لهُ ذنبهُ ففيهِ الحثُّ على تقوى الله وبيانُ فوائدها[2].

۞ ٢٣ ـ الكرامة عند الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَا أَرَى أَحَدَاً يَعَمَلُ بِهذِهِ الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فَيَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ! فَلَيْسَ أَحَدٌ أَكْرَمَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ»[3].

الكريم حقّاً هو الكريمُ عند الله وأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعةً، وانكفافاً عَنِ المعاصي، لا أكثرهم قرابةً وقوماً، ولا أشرفهم نسباً[4].

قال العِزُّ بنُ عبدِ السلام رحمه الله: فإذا كان أكرمنا عندَ الله أتقانا فينبغي أنْ يكونَ أتقانا أكرمَ خلقِ الله علينا وأحبَّهم إلينا؛ لمعاملتهِ معاملةَ الله إيَّاه، وتختلفُ مراتبُ إكرامِ المتقينَ باختلافِ مراتبهم في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٦٢).

(٢) شرح رياض الصالحين / ٢/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨) للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٨) بسند صحيح.

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٧٤).

تفاوتهم؛ فإنَّا أمرنا أنْ ننزلَ النَّاسَ منازلهم[1].

۞ ٢٤ ـ الانضمام لوفد الرحمن:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

«يخبر تعالى عنْ أوليائه المتقينَ الذين خافوهُ في الدار الدنيا، واتَّبعوا رسلَهُ، وصدَّقوهم فيما أخبروهم، وأطاعوهم فيما أمروهم بهِ، وانتهوا عمَّا زجروهم، أنَّهُ يحشرهم يومَ القيامة وفداً إليهِ»[2]. أي: ركباناً في كرامةٍ ورفعةٍ وحسنِ استقبالٍ مبجَّلين أروعَ تبجيلٍ وأكرمهُ. «والوفدُ هم القادمونَ ركباناً، ومنهُ الوفودُ، وركوبهم على نَجَائِبَ منْ نورٍ منْ مراكب الدَّارِ الآخرةِ، وهم قادمونَ على خيرِ موفودٍ إليه، إلى دارِ كرامتهِ ورضوانهِ»[3].

۞ ٢٥ ـ حسن المآب:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٩].

أي: وإنَّ للمتَّقين ربَّهم، بامتثالِ الأوامرِ، واجتنابِ النَّواهِي، منْ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ؛ لمآباً حسناً، ومرجعاً مستحسناً[4].

۞ ٢٦ ـ الغرف التي فوقها غرف:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ

---

(١) شجرة المعارف (ص٢٠٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٨٥).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٨٥).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٢٩٦).

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر: ٢٠].

أي: لكن الغنى والفوز كل الفوز، للمتقين الذي أعدَّ لهم مِنَ الكرامة وأنواعِ النَّعيمِ، ما لا يقادر قدره. لهم منازل عالية مزخرفة، من حسنها، وبهائها، وصفائها، من يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها. ومِنْ علوِّها وارتفاعها، أنَّها تُرى كما يُرى الكوكبُ الغابرُ، في الأفق الشرقيِّ أو الغربيِّ.

تجري من تحتها الأنهارُ المتدفقةُ، التي تسقي البساتينَ الزاهرةَ، والأشجارَ الطاهرةَ. فتغل أنواعَ الثِّمارِ اللذيذةِ، والفاكهةِ النضيجةِ.

وقدْ وعدَ المتقينَ هذا الثوابَ، فلا بدَّ مِنَ الوفاءِ بهِ، فليوفوا بخصالِ التَّقوى، ليوفيهم أجورهم[1].

٢٧ ـ النجاة من النار:

قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

هذا خطابٌ لسائرِ الخلائقِ، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنَّه ما منهم منْ أحدٍ، إلَّا سيردُ النَّار، حكماً حتمه الله على نفسهِ، وأوعد بهِ عباده، فلا بدَّ من نفوذهِ، ولا محيدَ عنْ وقوعه.

والورودُ: هو المرورُ على الصراط، الذي هو على متنِ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٣٦١).

جهنَّم. فيمر النَّاسُ على قدرِ أعمالهم، فمنهم من يمرَّ كلمحِ البصرِ، وكالريحِ، وكأجاويدِ الخيلِ، وكأجاويد الركاب. ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيُلقى في النَّارِ، كلٌّ بحسبِ تقواه[1].

وخذْ منْ تقى الرحمن أعظمَ جُنَّةٍ ... ليوم بهِ تبدو عياناً جهنَّمُ
ويُنْصَبُ ذاكَ الجسرُ من فوقِ متنها ... فهاوٍ ومخدوشٌ وناجٍ مُسَلَّمُ[2]

عن السُّدِّيِّ قال: سَأَلْتُ مُرَّةَ الهَمْدَانِيَّ عن قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فحدثني أنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُم كَلَمْحِ البَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيْحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ**»[3].

قد سمعتَ ـ رحمك الله ـ بهذا الطريقِ الحرجِ، والمسلكِ الشَّاقِّ، والقنطرةِ المضطربةِ التي لا تثبتُ عليها الأقدامُ ولا تجوزها الأوهامُ، إلَّا قدمٌ ثبتت على التقوى... ولعلَّكَ تظنُّ أنَّ هذا الطريقَ منْ طرق الدنيا الصعبةِ، وسبلها الوعرة، بلْ هوَ أحدُّ مِنَ السيفِ وأدقُّ مِنَ الشعرةِ، فما ظنُّكَ بكَ وقدْ حملتَ عليهِ، وكلِّفتَ المرورَ بهِ، ومهواه جهنم تحتك، وأردتَ المرورَ فلم تَقْدِرْ، والنهوضَ فلم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٢١٥).

(٢) الميمية (ص٢٥٨) لابن قيِّم الجوزية.

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٥٩ و٣١٦٠) مرفوعاً وموقوفاً، وصححه العلّامة المحدِّث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٢٦ و٢٥٢٧). وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣١١).

تستطع، واضطربَ بكَ اضطراباً، والتهبَ ذلكَ السعيرُ تحتكَ التهاباً، ولمْ تجد إلى النَّجاة سبيلاً، ولا إلى الخلاصِ باباً، ولا ينهضُ بكَ إلَّا سعيُكَ الذي سعيتَ، ولا جرى بكَ إلَّا عملكَ الذي عملتَ، ومركوبك الذي في الدنيا ركبت، فلتتخير الآن أيَّ المراكبِ تركبها، وأيَّ الأبوابِ تدخلهَا، وأيَّ الطرق تأخذُ فيها وتسلكها. والله المستعانُ وعليه التُّكْلَانُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العلي العظيم[1].

۞ ٢٨ ـ النجاة من الهلاك:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ [النمل: ٥٣].

وقال ﷻ: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝١٨﴾ [فصلت: ١٨].

لم يَمْسَسْهُم سوءٌ ولا نَالَهُم ضررٌ، بل نَجَّاهُم اللهُ تعالى بإيمانهم وتقواهم لله عزَّ وجلَّ[2].

۞ ٢٩ ـ الفوز بالمراد:

قال اللهُ جَلَّ وعلا: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١﴾ [الزمر: ٦١].

أي: بنجاتهم، وذلكَ لأنَّ معهم آلة النَّجاةِ، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدَّة، عندَ كلِّ هولٍ وشدَّةٍ.

فنفى عنهم مباشرة العذابِ وخوفهُ، وهذا غايةُ الأمانِ. فلهم

---

(١) العاقبة (ص٣١٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٧).

الأمنُ التَّامُّ، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دارِ السلام. فحينئذٍ، يأمنونَ منْ كلِّ سوءٍ ومكروهٍ، وتجري عليهم نضرةُ النَّعيمِ[1].

۞ ٣٠ ـ نيل الجزاء بالمحنة:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

أي: يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر، بامتثالها. فإنَّ هذا مِنَ الإحسانِ، والله لا يضيعُ أجرَ منْ أحسنَ عملاً[2].

۞ ٣١ ـ تيسير الأمور:

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

أي: من اتقى، يسَّر له الأمورَ، وسهَّلَ عليهِ كُلَّ عَسيرٍ[3].

واليسرُ في الأمر غايةُ ما يرجوه الإنسانُ، وإنَّها لنعمةٌ كبرى أنْ يجعلَ اللهُ الأمورَ مُيَسَّرَةً لعبدٍ من عبادِهِ. فلا عَنَتَ ولا مَشَقَّةَ ولا عُسْرَ. يأخذُ الأمورَ بيسرٍ. وينالها بيسرٍ في حركتهِ وعملهِ. ويرضاها بيسرٍ في حصيلتها ونتيجتها. ويعيشُ مَنْ هذا، في يسرٍ رخيٍّ نديٍّ حتَّى يلقى الله.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٤٣٤).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٢٦٣).

«فالإنسانُ قدْ تضيقُ أمامه الدروبُ وتسدُّ في وجههِ الأبوابُ في بعضِ حاجاتهِ، فالتَّقوى هي المفتاحُ لهذهِ المضائقِ وهي سببُ التيسير لها، كمَا قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]»[١].

۞ ٣٢ ـ غفران الذنوب بإعظام الأجور:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

وقال ﷻ: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

أجرٌ عظيمٌ مشتملٌ «على المطالبِ العاليةِ، والمحاب الغالية»[٢] لا يعرفُ قدرهُ ولا يبلغ كنهه[٣].

۞ ٣٣ ـ المخرج من الضيق والرزق دون حسبان:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

قال العلامة السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكلُّ مَنِ اتَّقى الله، ولازمَ مرضاتهِ في جميعِ أحوالهِ، فإنَّ الله يثيبه في الدنيا والآخرةِ. ومن جملةِ ثوابهِ، أنْ يجعلَ له فرجاً ومخرجاً، منْ كلِّ شدَّةٍ ومشقةٍ. وكما أنَّ

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/٢٨٦) للعلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٢٥٥).

(٣) فتح القدير (١/٦٠٨).

من اتقى الله، جعل له فرجاً ومخرجاً، فمن لم يتق الله، يقع في الشدائد والآصار والأغلالِ، التي لا يقدرون على التخلُّصِ منها، والخروجِ منْ تبعتها»[١].

وقالَ أحدُ العلماءِ: «ضاقَ بي أمرٌ أوجبَ غمّاً لازماً دائماً، وأخذتُ أبالغُ في الفكرِ في الخلاصِ منْ هذهِ الهمومِ بكلِّ حيلةٍ وبكلِّ وجهٍ، فما رأيتُ طريقاً للخلاص. فعرضت لي هذهِ الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢] فعلمتُ أنَّ التقوى سببٌ للمخرجِ منْ كلِّ غمٍّ. فما كانَ إلَّا أنْ هممتُ بتحقيقِ التقوى فوجدتُ المخرجَ».

فلا ينبغي لمخلوقٍ أنْ يتوكَّلَ أو يتسبب أو يتفكَّرَ إلَّا في طاعةِ الله تعالى، وامتثالِ أمرهِ، فإنَّ ذلكَ سببٌ لفتحِ كلِّ مرتجٍ.

بِتَقْوَى الإِلَهِ نَجَا مَنْ نَجَا ... وَفَازَ وَصَارَ إِلى مَا رَجَا
ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ ... كَمَا قَالَ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجَا[٢]

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «يا مستفتحاً بابَ المعاشِ بغيرِ إقليدِ التقوى! كيف توسِّعُ طريقَ الخطايا وتشكو ضيقَ الرزقِ. لو وقفتَ عندَ مرادِ التقوى لم يَفُتْكَ مُرَادٌ»[٣].

وقال العلَّامة ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فمن اتقى اللهَ جعلَ لهُ مخرجاً منْ مضائقِ الدنيا ومضائقِ الآخرة، والإنسانُ في أشدِّ الحاجةِ، بلْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٢٦٢).
(٢) نور الاقتباس (ص٤٦) لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) فوائد الفوائد (ص٤٤٥ ـ ٤٤٦).

في أشدِّ الضَّرورةِ إلى الأسبابِ التي تخلِّصهُ منْ المضائقِ في الدنيا والآخرةِ، ولكنَّهُ في الآخرةِ أشدُّ حاجةً وأعظمُ ضرورةً. وأعظمُ الكرباتِ وأعظمُ المضائقِ كربات يوم القيامة وشدائدها، فَمَنِ اتقى الله في هذهِ الدَّارِ فرَّج الله عنهُ كرباتِ يوم القيامةِ، وفازَ بالسعادةِ والنَّجاةِ في ذلكَ اليومِ العظيمِ العصيبِ، فمنْ وقعَ في كربةٍ مِنَ الكرباتِ فعليهِ أنْ يتقيَ اللهَ في جميعِ الأمورِ، حتَّىٰ يفوزَ بالفرج والتيسير»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كنت مُتَّقِ الله فثق أنَّ الله سيجعلُ لكَ مخرجاً منْ كلِّ ضيقٍ واعتمد ذلكَ لأنَّهُ قول منْ يقول للشيء كن فيكون»[٢].

٣٤ ـ فتح البركات من السماء والأرض:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

ذكرَ الله تعالى أنَّ أهل القرى، لو آمنوا بقلوبهم، إيماناً صادقاً، صدَّقتهُ الأعمالُ، واستعملوا تقوى الله تعالى، ظاهراً وباطناً، بتركِ جميعِ ما حرَّم الله، لفتحَ عليهم بركاتٍ مِنَ السماءِ والأرضِ. فأرسلَ السَّماءَ عليهم مدراراً، وأنبتَ لهم مِنَ الأرض، ما بهِ يعيشونَ، وتعيشُ بهائمهم، في أخصبِ عيشٍ، وأغزرِ رزقٍ، منْ غيرِ عناءٍ ولا تعبٍ، ولا كدٍّ ولا نصبٍ.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٧٨).

ولكنَّهم لم يؤمنوا ويتقوا [فأخذهم الله تعالى] بالعقوباتِ والبلايا، ونزعِ البركاتِ، وكثرةِ الآفاتِ، وهي بعضُ جزاءِ أعمالهم. وإلَّا، فلو آخذَهم بجميع ما كسبوا، ما تركَ على ظهرهَا منْ دآبةٍ[1].

فانظر إلى بركاتِ التَّقوى، واعلمْ أنَّ ما نحن فيهِ منْ قلَّةِ البركةِ ونقصِ الثمارِ وكثرةِ الآفاتِ والأمراضِ إنَّما هو نتيجةٌ حتميَّةٌ لضعفِ وازعِ التقوى وكثرةِ المعاصي كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[2].

۞ ٣٥ ـ الفرقان بين الحق والباطل:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقد رتَّب الله على التقوى منْ خيرِ الدنيا والآخرة، شيئاً كثيراً. فذكر هنا، أنَّ من اتقى الله، حصلَ لهُ أربعةُ أشياء، كلُّ واحدٍ منها خيرٌ مِنَ الدنيا وما فيها.

الأَوَّلُ: الفُرْقَانُ، وهو: العلمُ والهدى، الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني: تكفيرُ السَّيِّئاتِ.

الثالثُ: مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٢) التقوى الغاية المنشودة (ص٨٥).

الرابعُ: الأجرُ العظيمُ، والثوابُ الجزيلُ، لمن اتقاه، وآثر رضاه على هوى نفسه(١).

فلا يستغرب كثرةُ هذا الثوابِ، على فضلِ ذي الفضلِ العظيمِ، الذي عمَّ فضله، أهلَ السمواتِ والأرضِ، فلا يخلو مخلوقٌ منْ فضلهِ طرفةَ عينٍ، ولا أقلَّ منْ ذلك(٢).

فإنْ كانَ الله موصوفاً بهذه الصفةِ فاطلب الفضلَ من الله تعالى، وذلكَ بالرجوعِ إليه، والله أعلم(٣).

۞ ٣٦ ـ الحفظ من وساوس الشيطان:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

لمَّا كانَ العبدُ، لا بدَّ أنْ يغفلَ وينالَ منهُ الشيطان، الذي لا يزالُ مرابطاً، ينتظرُ غرتهُ وغفلتهُ، ذكر تعالى علامةَ المتَّقينَ مِنَ الغاوينَ، وأنَّ المتَّقي إذا أحسَّ بذنبٍ، ومسَّهُ طائفٌ مِنَ الشَّيطانِ، فأذنبَ بفعلِ محرَّمٍ أو تركِ واجبٍ تذكَّر منْ أيِّ بابٍ أُتِيَ، ومِنْ أيِّ مدخلٍ دخلَ الشيطانُ عليهِ، وتذكَّرَ ما أوجبَ اللهُ عليهِ، فأبصرَ واستغفرَ الله تعالى، واستدركَ ما فرطَ منهُ بالتوبةِ النصوحِ، والحسناتِ الكثيرةِ، فردَّ شيطانهُ خاسئاً حسيراً، وقدْ أفسدَ عليهِ كلَّ ما أدركهُ منه(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/١٩٨).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥/١٨٨ ـ ١٨٩).
(٣) شرح رياض الصالحين (٢/٤٢٨) للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢/١٨٣).

إنَّ مسَّ الشيطانِ يُعمي ويَطمسُ ويُغلقُ البصيرةَ. ولكنْ تقوى الله ومراقبتهُ وخشيةَ غضبهِ وعقابهِ.. تلكَ الوشيجةُ التي تصلُ القلوبَ باللهِ وتوقظها مِنَ الغفلةِ عنْ هداه.. تذكّر المتقين. فإذا تذكَّروا تفتحت بصائرهم؛ وتكشَّفت الغِشاوةُ عنْ عيونهم: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.. إنَّ مسَّ الشيطان عمًى، وإنَّ تذكُّرَ الله إبصارٌ.. إنَّ مسَّ الشيطانِ ظلمةٌ، وإنَّ الاتجاهَ إلى الله نورٌ.. إنَّ مسَّ الشيطانِ تجلوه التقوى، فما للشَّيطانِ على المتَّقينَ منْ سلطانٍ.

إنَّ التقوى دِرْعٌ متينٌ، وحصنٌ حصينٌ، وسلاحٌ واقٍ منْ أخطارِ الشيطانِ اللَّعينِ، فإذا فُقِدَ هذا السلاحُ سرعانَ ما تتساقطُ الضحايا في حبائلهِ، نعوذُ بالله مِنَ الشيطانِ الرجيمِ.

۞ ٣٧ ـ أجر الآخرة:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٧].

وقال جل وعلا: ﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥].

الآخرةُ عندَ الله تعالى خيرٌ للمتَّقين لربِّهم بامتثال أوامرهِ، واجتنابِ نواهيه. لأنَّ نعيمها تامٌ كاملٌ منْ كلِّ وجهٍ، وفي الجنَّةِ ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ، وهم فيهَا خالدون[١].

۞ ٣٨ ـ دخول الجنة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/٤٤٦).

[القلم: ٣٤]. ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ٣١﴾ [النحل: ٣٠ ـ ٣١]. ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢﴾ [ق: ٣١، ٣٢]. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾ [الذاريات: ١٥]. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصْفُوفَةٖۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾ [الطور: ١٧ ـ ٢٠]. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨]. ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ٦٣﴾ [مريم: ٦٣]. ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ١٥ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدٗا مَّسْـُٔولٗا ١٦﴾ [الفرقان: ١٥ ـ ١٦]. ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ٩٠﴾ [الشعراء: ٩٠]. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسْتَبْرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٥٦ فَضْلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٥٧﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧]. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ٤٤﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٤]. ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ

ٱتَّقَواْۚ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد: ٣٥]. ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص: ٤٩ ـ ٥١]. ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّىۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ [محمد: ١٥]. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٤].

فتبيَّن لكَ منْ خلالِ هذه الثمراتِ أنَّ التقوى مَلَاكُ الأمرِ وجَوْهَرُهُ، وأهلها هم الطبقةُ العليا من العِبَاد، فعليكَ ببذلِ المجهودِ في ذلكَ وصرفِ كُلِّ العنايةِ إليه، واللهُ سبحانه وليُّ التوفيق.



الخَـــاتِـمَـةُ

الحَمْدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتمِ الأنبياءِ والمرسلينَ.

التقوى أَجَلُّ المواهِبِ وأَسْنَى المَطَالِبِ، وهي الوسيلةُ العظمى، لنيل مرضاةِ اللهِ تعالى، والفوزِ بسعادةِ الدنيا، وكرامَةِ الآخرةِ. وهي بُغْيَةُ السَّالِكِينَ، وأُمْنِيَةُ الذَّاكِرِينَ، وهدفُ العابدينَ، وزادُ الصالحينَ، وحصنٌ حصينٌ للمؤمنينَ. لا يقبلُ اللهُ غيرَها، ولا يرحَمُ إلَّا أَهْلُهَا، ولا يُثابُ إلَّا عليها.

التقوى مَلَاكُ الأمرِ وكُلِّ الخَيْرِ. موصلةٌ إلى كلِّ خيرٍ وفلاحٍ وصلاحٍ وسعادةٍ دنيويةٍ وأخرويةٍ. وهي أشرفُ عطايا الكريم لعبادِهِ. وكلُّ خيرٍ في الدنيا والآخرةِ منْ آثارِ التَّقوى، وعاقبةُ أَهْلِهَا أحسنُ العَوَاقِبِ. إنْ فاتَتْ، فاتَ كُلُّ خَيْرٍ، وحَضَرَ كُلُّ شَرٍّ.

«وقدْ جَرَّبَ سلفُنَا الصالحُ وهم الصحابةُ ﷺ وأتباعُهم بإحسانٍ، كما جَرَّبَ قبلَهُم رُسُلُ اللهِ عليهم الصلاةُ والسلامُ الذين بعَثَهُمُ اللهُ لهدايةِ البشريةِ، وحَصَلُوا بالتقوى على كُلِّ خَيْرٍ، وفتَحُوا بها بابَ السَّعادَةِ، وانتصَرُوا بها على الأعداءِ، وفتَحُوا بها القُلوبَ، وهَدَوْا بها البشريَّةَ إلى الصراطِ المستقيمِ.

وإنما حَصَلَتْ لهمُ القيادةُ للأُمَمِ والذِّكْرُ الجميلُ والفتوحاتُ

الْمُتَتَابِعَةُ بسببِ تقواهُمْ للهِ، وقيامِهِم بِأَمْرِهِ، وانْتِصَارِهِم لِدِينِهِ، وجَمْعِ كَلِمَتِهِمْ عَلَى تَوْحِيدِهِ وطَاعَتِهِ»[1].

وفي الخِتَامِ: مَا أَحْرَانَا أَنْ نَتَّصِفَ بِالتَّقْوَى، ونَتَزَوَّدَ مِنْهَا لِنَحْصَلَ عَلَى السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.



(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/٢٨٦)، للعلّامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

